

تامر أحمد

يقدم

عند مدام عفاف



تامر أحمد
يقدم
عند مدام عفاف

أحمد، تامر.
عند مدام عفاف : أدب ساخر / تامر أحمد.
القاهرة : كيان للنشر والتوزيع، 2020.
160 صفحة، 20 سم.
تدمك : 3-071-820-977-978
1- أدب ساخر
أ- العنوان : 817
رقم الإيداع : 25724/2019
الطبعة الأولى : يناير 2020.
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©

إهداء

إلى الكاتب العظيم الدكتور/ أحمد خالد توفيق، الذي فقدنا برحيله نصف ذكرياتنا الجميلة ونصف متعة القراءة.. واحتفظ هو بمكان غالٍ في قلوبنا سيظل يحتله أبد الدهر.
لأنه.. جعل الشباب يقرأون.

شكر خاص لأخي وصديق عمري د. تامر إبراهيم لما كان له من دور مساعد كبير فيما يخص هذا الكتاب.. قد تجدونه يظهر متخفياً في أكثر من موضع في الكتاب.. فابحثوا عنه.
أقدم شكري أيضاً للدكتور/ محمد أحمد خالد على موافقته على إعادة نشر القصة الأخيرة في الكتاب «أسطورة الفتوة».

أما شكري الأخير فأقدمه لمدام عفاف وشركاها في مصالحننا الحكومية.. فلولاهم ما وجدت مادة هذا الكتاب.

د. تامر أحمد

مقدمة

عزيزي المواطن.. يجب أن تعرف أن وجودك وهويتك وكيونتك لا قيمة لها إذا كنت لا تحمل بطاقة هويتك، التي سوف تثبت هويتك إذا قبض عليك لأي سبب -وبدون سبب أحيانا- فأنت لدى الحكومة مجرد ورقة.. سطر في دفتر.. رقم مدون على بطاقة بلاستيكية مغلقة.. لذا يجب عليك - وبشكل دوري- مراجعة سلامة موقفك الورقي الذي سيثبت وجودك وشخصيتك وكيونتك.. وإن لم تكن قد استخرجت إحدى هذه الأوراق فعليك بالإسراع في استخراجها في أقرب وقت.

عليك أن تعلم وتوقن بأن استخراج الأوراق الرسمية في بلدنا يؤدي في الغالب إلى استخراج روح المواطن إن لم يكن يمتلك صبر أيوب ومعجزات موسى وتسامح عيسى وثبات مُحَمَّد، أو يمتلك واسطة بدلا من هذا كله، حيث إن الإجراءات التي يمر بها المواطن المصري في استخراج أية ورقة رسمية تعتبر -فعليا- من إجراءات التعذيب المحرم دوليا والتي لم يكن يجرؤ أبو لهب نفسه على استخدام أحدها.. فإذا اضطررتك الظروف للتعامل مع المرور أو السجل المدني أو الشهر العقاري أو الجمارك فأبشر.. لقد ضمنت مقعدا وثيرا من فئة الشيزلونج في جنة الخالدين.

في المرور تجد الكثيرين من «المشهلاتية» الذين يحترفون تسهيل مهام المواطنين من تجديد واستخراج الرخص والمخالفات مقابل رشوة صريحة «عيني عينك» تحدد قيمتها مسبقا قبل القيام بأي عمل، وتجد المرتشين متناثرين هنا وهناك وكأن هناك معهد عال -أو واطي بالأحرى- لتخريج دفعة مرتشين كل عام.. كما أن التواجد في نفس المجال وزيادة عدد المتنافسين أدى إلى تباريهم في السرعة وقلة السعر وجودة الخدمة.. وكله في مصلحة المستهلك -بفتح اللام- الذي هو المواطن.

المهم أنك تجد لافتة ضخمة في أحد مكاتب المرور مكتوبا عليها بالبنط العريض «الراشي والمرتشي في النار يوم القيامة»، والمثير في الأمر أن المرتشي ينظر لهذه اللافتة ولا يفهم ما بها أو كأن الكلام المكتوب بها لا يخص سيادته.. بل وأكثر من هذا.. تجده يقول للزبون «استتاني تحت يافطة الرشوة اللي هناك»، ويكثر دافعوا الإكراميات المجبرون لإنهاء أعمالهم بسرعة.. ويبدو أن الواقع يقول إن اللي مش هايدفع رشوة هايفضل في المرور إلى يوم القيامة.

وفي الشهر العقاري الموضوع أكبر.. فالموظفون لا يريدون العمل والمكاتب ضيقة والطرق أضيق والأخلاق أضيق وأضيق وموظف الخزينة مثل سندريلا يختفي الساعة الثانية عشرة، وكأن الشهر العقاري هو مكان لقضاء عقوبة كونك مواطنا مصرياً مع الشغل والنفاذ.

يقال إن المواطن المصري ضد الكسر.. وهذا صحيح لأنه مكسور بالفعل إلى درجة الفتقنة.. فلا يمكن كسره أكثر.

في هذا الكتاب عدة قصص حقيقية سمعتها من أطرافها الفعليين.. وهي تجسد العذاب الأصلي للشعب المصري مع الروتين والتحكم واللامبالاة.. وإذا كنت أحاول استخراج البسمة من المواقف والحكايات الصعبة.. إلا أن هذا لا ينفي أنها بسمة جاءت من قلب المعاناة.. وإن كان شر البلية ما يضحك فهذا لا ينفي أنه شر البلية.
ولكن.. لعله يُضحك.

* قابل للكسر *

* قصة حقيقية *

«السيد المحترم: طاهر الإبراهيمي.. بعد التحية.. نحيطكم علما أن لكم شحنة محجوزة في جمارك مطار القاهرة.. يرجى التوجه بكافة المستندات الخاصة بهذه الشحنة إلى إدارة الحجز الجمركي لاستلام شحنتكم».

فرغ طاهر من قراءة الخطاب الموجه إليه من الجمارك والذي يفيد بوصول التمثال الذي اشتراه مؤخرا من أمريكا وشحنه على عنوانه في القاهرة.. كان طاهر مولعا بفن النحت وعاش أغلب حياته خارج مصر يتنقل بين مختلف البلدان، وكان يفتني في بيته العديد من التماثيل التي يعتبرها هو تحفا فنية وقد أعد لها ركنًا خاصًا في غرفة معيشته.. وكان بالفعل كل من يزوره يبدي إعجابه الشديد بمجموعة التماثيل المميزة التي يمتلكها وكان هذا يزيده سعادة.

توجه إلى إدارة الجمرك للمرة الأولى في حياته.. فقد كان قبل ذلك يعتمد على شركة وسيطة في شراء وشحن التماثيل ولكن لسوء الحظ فقد أنهت هذه الشركة أعمالها في مصر وكان طاهر مضطرا للتعامل بنفسه مع الجمارك لاستخلاص شحنته.. بدأ رحلته في أول مكتب قابله.. أطلع الموظف المختص على الخطاب ومستندات الشحنة فقال له:

آآه.. أنت بتاع التمثال؟

لأ حضرتك.. التمثال هو اللي بتاعي.

أيا كان.. حضرتك موضوعك عند مدام عفاف.

مين مدام عفاف؟

يا راجل.. ماتعرفش مدام عفاف؟ دي المديرية حضرتك.

المديرية شخصيا؟!

شفت بقي.. مهتمة بيك جدا على فكرة.. ونصيحة قال غامزا بعينه فتح دماغك.

لم يفهم طاهر بالضبط ما الذي يعنيه الموظف، واستبعد تماما أن يكون قصده رشوة المديرية.. فهي مديرة وفي موقع حساس وبالتأكيد تخضع للرقابة ولن تغامر بسمعتها.. توجه إلى مكتب المديرية وأطلعها على الأوراق.

آه، أهلا يا طاهر بك.. اتفضل ارتاح.. تشرب إيه؟

سر طاهر جدا من هذا الاستقبال واستبشر خيرا:

لا مالوش لزوم.. أنا بس أول مرة آجي ومش عارف الإجراءات إيه.. فمش عايز أتأخر.

لأ، أنا تحت أمرك.. كلها دقايق والموضوع يخلص.. ثم أضافت بلهجة ذات مغزى

- بس حضرتك تصبَح عليًا وكل شيء يتم على طول

قال طاهر بحرج:

-آه أنا آسف دخلت من غير ما أصبَح على حضرتك .. gninrom dooG

- جود إيه يا عنيًا

- gninrom dooG يا فندم

- آاه .. جود مورنينج .. اللي هي بتاعت الصبح دي .. ماشي .. طيب قل لي .. هو التمثال دا

عبارة عن إيه ؟

دا تمثال سوبرمان، بس عامله نحات مشهور قوي في أمريكا.

طيب والنحات دا مش عامل حاجة لصبايضر مان؟ أصل عندي ابني بيحبه جدا!

صبايضر!! آه طبعا عامل .. هو ناحت كل الشخصيات وعامل لها تماثيل بأحجام مختلفة.

قالت بنفس اللهجة ذات المغزى:

طيب إيه؟

قال طاهر بعدم فهم:

إيه؟

قالت باستنكار:

إيه؟

إيه إيه يا فندم؟ مش فاهم حضرتك.

هممم .. مش فاهم وجود مورنينج .. طيب تمام.

تبدلت لهجتها فجأة وقالت:

طيب يا أستاذ حضرتك في بعض الإجراءات البسيطة مطلوبة قبل استلام التمثال.

إجراءات إيه يا فندم؟

التمثال دا لازم يتعرض على أمن المطار وإدارة المفرقات.

مفرقات! إيه بس .. دا مجرد تمثال.

وأنا ايش عرفني إن مفيش جواه أي داهية ولا مواد متفجرة ولا بمب.

بمب؟!!

آه يا أستاذ.. دي مسئولية ماقدرش أتحملها.. وبعدين ماتقلقش دا إجراء روتيني.. شهادة صغيرة من إدارة المفرقات إن التمثال مفيهوش قنابل ولا يشتعل ولا يساعد على الاشتعال ويستحسن يكون لا يعكر ماء الجير، وبعدها تستلم على طول.

وفين إدارة المفرقات دي؟

دلته المديرية على المكان المنشود فذهب إليه طاهر وقابل أحد الضباط وقال له:

من فضلك كنت عايز حد يبجي يكشف على التمثال بتاعي.

سلامته ألف سلامة.. العيادة الصحية المبنى اللي ورانا.

لأ حضرتك هو مش عيان.. هو محجوز في الجمارك وعايزين شهادة إنه خالي من المفرقات عشان أستلمه.

أنت لازم جاي من عند مدام عفاف.

بالضبط.. حضرتك عرفت منين؟

وأكيد طلبت منك طلب وانت مانفذتهوش.

الحقيقة لأ.. ماطلبتش، هي طلبت بس إنني أصبح عليها.

أهي طلبت أهي.. و عملت إيه بقى؟

قلت لها gninrom dooG

قال الضابط ساخرا

قلت لها gninrom dooG .. ومستغرب انها بعنتك هنا

آه والله مستغرب ومش فاهم .. المهم حضرتك هاينفع تديني الشهادة ولا إيه؟

هانبعث لجنة تفحص التمثال.. عدّي علينا كمان أسبوع.

بعد أسبوع ذهب طاهر لمكتب المديرية حاملا شهادة خلو التمثال من أي مفرقات أو مواد تصلح للفرقة.. دخل المكتب ظانا أن موضوعه سينتهي لكنه كان واهما.. قالت عفاف بعد أن قرأت الشهادة:

مبروك.. طلع مفيهوش مفرقات.

ما أنا قلت لحضرتك.. دا مجرد تمثال.

تمام.. مجرد تمثال.. طيب هو أنا بس كنت باراجع قانون التماثيل واكتشفت إن حضرتك مطلوب

منك شهادة تانية صغيرة.

قانون التمثيل!! وشهادة؟ شهادة إيه تاني؟!!

وإحنا بنفحص التمثال لقينا في كاميرا في عينه.

كاميرا إيه؟! دي لمبات.

والله اللي يقول هي كاميرا ولا لمبة هو الأمن الوطني مش أنا.

الأمن الوطني مرة واحدة؟!!

أبوة يا أستاذ دي مسئولية وأنا ماقدرش أتحملها.

قال طاهر بقلة حيلة:

طيب فين الأمن الوطني دا؟

بناء على توجيهات عفاف ذهب طاهر إلى مكتب الأمن الوطني في المطار وقابل أحد الضباط

ليطلب منه فحص التمثال فقال الضابط بمنطقية:

بص يا أستاذ.. أنا أفحص مواطن أشوف عليه أحكام ولا لأ.. أفحص واحد أشوفه له نشاط

متطرف ولا لأ.. إنما أفحص تمثال أشوف اللي فيه دي كاميرا ولا لمبة.. هو أنا كهربائي.. دا أنا

نقيب وعلى وش مقدم.

والله يا باشا لو عليا أنا أرقيك لواء دلوقتي.. بس دا مش طلبي أنا.

هو أنت جاي من عند مدام عفاف؟

دا واضح إنها معروفة قوي.

دا إنت حظك مهيب.

طب أعمل إيه؟ مش هاتديني حاجتي غير بالشهادة بتاعت الأمن الوطني.

إنت طيب قوي.. وحياتك ولا هاتديها لك بعد الشهادة.. بص أنا بصراحة مش فاضي للكلام الفارغ

دا وعندنا شغل أهم بكثير من تمثال سوبرمان بتاعك.. بس عشان إنت شكلك محترم ومش وش

بهذلة أوعدك إننا في خلال أسبوع بالكثير هانكون فحصناه وجهزنا لك الشهادة.

والله يا فندم يبقى كتر خيرك.

بعد أسبوع آخر تسلم طاهر شهادة خلو التمثال من الكاميرات الفوتوغرافية والرقمية وأن ما يوجد

بعين التمثال ليس كاميرا من أي نوع معروف.. دخل ملوحا بالشهادة لمكتب عفاف التي تفحصت

الشهادة بشك:

غريبة مع إن شكلها كاميرا.

يا ستي إنتي مش قلتى إنك مش انتي إلی بتحددي.. أهو الأمن الوطني بنفسه قال انها مش كاميرا.

خبطت بقبضتها على المكتب صائحة:

أمال تطلع إيه اللي في عينه دي؟

لمبة.. والله العظيم لمبة.

طيب وهي اللمبة دي مش المفروض تتور.

أه.. مهو جاي معاه بطاريات عشان تتوصل باللمبة وتتورها.

قالت بتقهم:

آآآه.. معاه بطاريات.. طيب يا راجل مش تقول كده!

كتبت ورقة ومهرتها بتوقيعها ثم قدمتها لطاهر قائلة:

حضرتك تجيب لنا شهادة من الجيش إن دي مش بطاريات صواريخ.

جيش؟! بطاريات صواريخ.. إنتي أكيد بتهرجي!

هاهرج معاك ليه.. أعرفك أنا؟ هاتصاحبني؟

يا مدام أنا مش قصدي بطاريات.. قصدي حجارة.. حجارة عادية.

بس أنت قلت بطاريات.

أنا.. أبدا.. أنا قلت حجارة.

غريبة مع إنني متأكدة إنني سمعتها بطاريات.

والله العظيم حجارة.

قالت مهدئة إياه بلهجة خبيثة:

طيب يا أخي حجارة حجارة.. مش بطاريات.. ولا تزعل نفسك.

سحبت منه الورقة الأولى وقدمت له ورقة أخرى:

الموضوع كده بقى أسهل.. هاتجيب لنا بس شهادة صغيرة.

قاطعها بفراغ صبر:

منين تاني؟

من سفارة فلسطين.

قال باستغراب:

وسفارة فلسطين مالها ومال التمثال بتاعي؟

عايزين شهادة منهم إن الحجارة دي غير الحجارة المستخدمة في الانتفاضة.

حجارة؟! انتفاضة؟! أنا سمعت صح؟!!

مهو مش معقول ناخذ إحنا الحجارة كلها ونسيب فلسطين.. هايعملوا انتفاضة بإيه.. خللي عندك
وطنية يا أخي.. ولا عشان يعني صوبرمان دا أمريكاني؟

يا مدام عفاف انتفاضة الحجارة خلصت من زمان.

ولو.. الانتفاضة هاتفضل مستمرة برغم العدوان.

يا ستي دول حجرين قلم عشان اللبنة.. لا ليهم دعوة بانتفاضة ولا حرب ولا نيلة.. اعلمي
معروف شوفي لي أي حل تاني.

ممم.. حجرين.. طيب بص.. إنت صعبت عليا.. وعشان كده أنا هاسهلها عليك على الآخر.. ودا
آخر تساهل معاك.

كتبت ورقة أخرى ومدتها إليه:

هاتجيب لنا شهادة من شركة الشرقية للدخان إن دول مش حجرين معسل.. في تساهل أكثر من
كده؟

خرج طاهر من مكتب عفاف وقد تذكر المشهد الشهير في فيلم «عسل أسود» مع موظف السجل
المدني المرتشي.. وشعر بنفس السواد الذي شعر به بطل الفيلم.. في الشركة الشرقية للدخان كان
الكل بالطبع— يتعجب من ذلك الطلب الغريب والذي يواجهونه لأول مرة، وبعد أن سألوه السؤال
المعتاد «أنت جاي من عند مدام عفاف؟» أخذوا الموضوع كنكتة ومروا به على كل المكاتب كفقرة
ترفيهية مسلية لموظفي الشركة الذين رَقّوا لحاله في نهاية الأمر وأعطوه الشهادة المطلوبة.

في ساحة قرية البضائع وبعد أن اطلّعت عفاف على خطاب الشركة، استدعت أحد العمال وقاموا
بفتح صندوق التمثال وقالت:

تمام.. كده بقى نحط الحجارة ونشغل اللبنة ونتأكد.

قرّنت القول بالفعل وضغطت زر الإضاءة فأضاءت اللمبات في عين التمثال باللون الأحمر وبدا
كتحفة فنية فعلا.. قال طاهر في فرح:

شفتي بقى يا مدام.. أهي لمبة أهي زي ما قلت لك واشتغلت بالحجارة.. مكنتش باضحك عليكي.

مالت عليه عفاف وقالت بنفس اللهجة إياها ذات المغزى وبصوت خفيض:

هو تمثال صبايضر مان عينيه بتتور كده برضه؟!!

أكيد طبعا يا مدام.

طيب إيه بقى؟

إيه يا فندم.

عايزين نجيب صبايضر مان للواد ابني!

طيب ماتجيبوا.. تحبي أديلك الموقع اللي بيتباع عليه التمثال.

الموقع؟!!

أمال إيه بس مش فاهم والله!

غيرت لهجتها وعلا صوتها مرة أخرى قائلة:

لسه مش فاهم.. طيب تمام.. بص هو بس في مشكلة صغيرة إن العين بتتور أحمر.

قال طاهر مازحا:

وايه المشكلة في كده.. ولا إنتي زمالكاوية وبتكرهي الأحمر؟

أولا آه أنا زمالكاوية.. ثانيا اللون الأحمر دا ممكن يطلع ليزر.

ليزر؟! لا طبعا باين إنه نور عادي مش ليزر.

مش أنا اللي أحدد.

بس فهمت.. عايزة شهادة من مين المرة دي.. مازنجر؟

لا يا مرح.. معهد الليزر.

هو بقى في معهد الليزر كمان.. ما شاء الله.

طبعا يا أستاذ عندنا معاهد لكل حاجة.. يلا خف نفسك بقى عشان تلحق تجيب الشهادة وترجع

تاني نكون فكرنا لك في شهادة تانية تجيبها.

من عنيا.. دا أنا حبيت موضوع الشهادات دا جدا.

ذهب طاهر بسيارته إلى معهد الليزر وقال لهم كلمة السر «أنا جاي من عند مدام عفاف» فتعاون

معه الجميع وأنهوا له الشهادة على الفور فعاد لعفاف في نفس اليوم.

إيه دا.. أنت لحقت تروح وتيجي؟

سرعة الليزر بقى.. انفضلي الشهادة أهي.. في أي شهادات تاني، وممكن أستلم التمثال بتاعي

بقى؟

أمال إيه.. خد الشهادة أهي وربنا يكون في عونك وينتعلك إنت و التمثال بتاعك بالسلامة.
عاد طاهر مرة أخرى إلى إدارة الجمارك ودخل إلى مكتب عفاف شاعرا أنه داخل على
عشماوي.

اتفضلي يا مدام عفاف.. شهادة إنه مش روبوت ولا بيمشي ولا بيتحرك.
سألته بتحدي:

ولا بيطير؟

ولا بيطير.

إزاي بقى.. هو مش صوبرمان.. يبقى بيطير.

دا اللي في الأفلام.. إنما دا تمثال.. مش بيطير.

مش إنت اللي تحدد إذا كان بيطير ولا لأ...

قاطعها مكملًا الديباجة التي صار يحفظها جيدا:

طبعًا.. ودي مسئولية وإنتي ماتقدريش تتحملها.. وعايضة شهادة صغيرة من مصر للطيران إن
التمثال مش بيطير!

أو وزارة الطيران المدني.. أيهما أصعب آآ.. قصدي اللي يريحك فيهم.

مش عايضة شهادات من الأمم المتحدة أو ستاد القاهرة.. أنا باعدي عليهم كل يوم؟

لأ، مش للدرجة دي يعني إحنا مش عايزين نعقد الدنيا.

استغرقت شهادة وزارة الطيران أسبوعين استغلها طاهر في إنجاز بعض الأمور الأخرى حتى
تم تحرير الشهادة فأخذها واتجه إلى مكتب عفاف –والذي أصبح بمثابة مقبرة أحلامه– حاملًا ملفًا
ضخمًا من الأوراق فبادرته سائلة:

إيه الورق دا كله؟

لأ، دي فضلة خيرك شوية شهادات كده على ما قُسم.. شهادة من مصر للطيران إن التمثال دا
تمثال ثابت لا يطير ولم يسبق له الطيران، وجواب من وزارة الطيران المدني إن في حالة إن
التمثال بيطير هم معندهم مانع وبيرحبوا بطيران سوبرمان الشقيق.. وجواب من نادي الطيران
يفيد إن التمثال ليس عضوا في النادي، وجواب من شارع الطيران إن التمثال عمره ما عدى في
الشارع بأي طريقة جوا أو برا أو بحرا.. ووزارة السياحة بتقول إنهم موافقين على طيران التمثال
ترويجًا للسياحة ودي شهادة تطعيمات التمثال ضد جميع الأمراض المعدية اللي ممكن ينقلها في

حالة طيرانه رغم إنه مش بيطيير، ورغم إن التماثيل مش بتتطعم بس أنا طعمته.. وخطاب من هيئة الـ...

بس بس إيه دا كله.. هو أنا طلبت منك كل دا؟ إيه يا حبيبي تعقدها على نفسك كده؟!
معلش بقى أصلي معقد.. ممكن آخذ أم التمثال بتاعي؟
هو إنت مهتم بالتمثال دا قوي كده إيه؟ اهتمامك دا مريب على فكرة.
ليه إيه؟! بتاعي وبفلوسي وملكي.. حقي إني أهتم بيه وابقى عايز أستلمه.
لالالا.. أنا كده ابتديت أشك.. ليه واحد زيك يصرف الفلوس دي كلها عشان يشتري تمثال.. دا أنا شفت سعره في الفاتورة اتخضيت.

يا ستي تشكي في إيه.. أنا راجل بيحب النحت وباشتري تماثيل كتير.. بصي حضرتك.
أخرج لها تليفونه المحمول ليريها صورة على الجهاز.
دي صورة الليفنج بتاعي.. كله تماثيل زي ما حضرتك شايفة.. اتطمنتي؟
اتطمنت إيه.. دا أنا شكى زاد.. بتعمل إيه بالتماثيل دي كلها.. الموضوع دا مش طبيعي.. باقولك إيه.. انت تجيب لنا شهادة من الأزهر إن التمثال دا مش أصنام.
أصنام؟! هو في حد بيعبد سوبرمان.. أنا اسمي الإبراهيمي مش أبرهة.
على الأزهر يا أستاذ ماتعطلنيش.. وابقى سلم لي على صبايضرمان.

غادر طاهر مكتبها والقهر يملؤه.. فهو عاجز عن تسلم شيء يملكه لمجرد تعنت تلك الموظفة التي ليس عليها رقيب يمنعها من هذا الاستبداد.. في طريقه لسيارته تذكر أن خاله له صديق يعمل في جهة أمنية ذات سيادة ومهابة.. فاتصل به وحكى له عما حدث.. ثار خاله بشدة وعنفه أنه لم يتصل به من البداية وأمره أن يعود إلى مكتب عفاف مرة أخرى و ينتظر منه مكالمته.. عاد طاهر إلى مكتب عفاف ووقف أمام الباب فسألته بتهمك:

مستني إيه؟

مستني الـ...

قاطعتهما رنة الهاتف المحمول الخاص بطاهر نظر ليجد علامة Number Private تزين الشاشة.. فدفعت التليفون إلى عفاف قائلاً:

التليفون دا علشانك.

تناولت منه عفاف التليفون وأجابت بتردد:

آلو.. أيوة مين اللي بيتكلم؟

امتقع وجهها واستحال إلى اللون الأبيض من فرط شحوبه:

أيوة يا فندم.. ليه بس يا فندم.. دا أنا خدماتك وخدمة التمثال.. يخرج حالا يا باشا.. اعتبره خرج.. وماله يا فندم ما يطير هو صغير.. أنا آسفة.. ليه بس كده.. طيب والدتي مالها بالموضوع.. الله يسامحك.. حاضر.. حاضر.. خدمة سيادتك وقرائب سيادتك وتمائيل قرائب سيادتك.. مع السلامة يا فندم.

أعدت التليفون إلى طاهر وجرت خارج مكتبها إلى ساحة الحجز الجمركي حيث أمرت العمال بإخراج التمثال وتحمله في كرتونته مرة أخرى وإعداده لمغادرة الجمرک فوراً، وأخذت توقع على كل الأوراق على عجل وأرسلت أحد موظفيها ببطاقة الائتمان الخاصة بها لدفع المصاريف الجمركية:

طيب وشهادة الأزهر إنه مش صنم؟

صنم إيه بس يا باشا هو إحنا في الجاهلية؟

طيب مش عايزة شهادة من الصرف الصحي إن الصرف على شراء التماثيل لا يضر بالصحة.

حضرتك بتهزر يا باشا.. إنت لسه زعلان مني يا باشا.. دا إنت زي ابني يا باشا.

ابنك.. اللي بيحب سبايدرمان؟

الله يحرق صبايضرمان على اليوم الأسود اللي عرفناه فيه.. أنا آسفة.. سامحني.. امسحها في دقني..

هي إيه؟

جزمة سعادة الباشا قريبك يا سعادة الباشا.. أرجوك تقول له ما يندينيش.

خلصيني فين التمثال؟

حالا.. حالا يا باشا وصاحت بصوت عال: يلا التمثال يجهز ويتسلم لسعادة الباشا بسرعة.

ارتبك العمال من استعجال المديرية فأسقطوا التمثال أرضاً وكسرت قطعة من ذراعه.. بدا الخوف والذعر الشديد على عفاف وهي تعتذر لطاهر:

أنا آسفة.. وحياتك ما كنا نقصد.. أنا ممكن أعالجه لسيادتك عند الدكتور بتاعي.. أسفـره بره.. أجيب له ممرضة من «السعودي الألماني» تقضل جنبه لحد الكسر ما يلتئم.. أرجوك ما تندينيش دا أنا غلبانة.

قال طاهر بتشفتُ مستخدما نفس أسلوبها:

دا كسر.. يعني علاج أكثر من 21 يوم.. يعني جناحة وأوديكم في داهية.

أنا أسفة.. مكنّاش نعرف إنه قابل للكسر.

مع إنها باينة ومكتوبة على الكرتونة.

مخدناش بالننا والله.

خرجولي التمثال دا للعربية دلوقتي.. عايز أمشي من هنا.

تعاون العمال على حمل التمثال في كرتونته الكبيرة وأودعوه في سيارة طاهر الذي قاد سيارته

مبتعدا عن ذلك الجحيم، بعد أن اكتشف أن ليست التماثيل فقط هي القابلة للكسر في هذا البلد.

كعب داير*

- شكر خاص للدكتور / أحمد عبد الفتاح الذي كان له دور البطولة الرئيسي في هذه القصة.

*قصة حقيقية أيضًا.

أخيرا وبعد طول بحث وانتظار استطاع الأستاذ «بلال» أن يجد وظيفة ملائمة له.. ذهب ليقدم أوراقه للالتحاق بالعمل فطلب منه موظف الموارد البشرية استخراج قيد عائلي من السجل المدني كأحد مسوغات التعيين.. لم يكذب «بلال» خيرا واتجه إلى السجل المدني فقط ليفاجأ أن هذه الورقة يتم استخراجها بدون واسطة- في عشرة أيام كاملة وبالواسطة عشر دقائق كاملة أيضا، ولما كان «بلال» لا يملك من الوسطة شيئا فقد اتبع الطريق التقليدي وقام بالتقديم على القيد ثم انصرف من السجل المدني مسلما أمره الله، وما أن مرت الأيام العشرة حتى ذهب إلى السجل المدني لاستلام القيد العائلي ليفاجأ بامتناع الموظف عن تسليمه إياه:

ليه حضرتك.. إيه المشكلة؟

المشكلة إنك ماقدمتش شهادة ميلاد أخوك وبالتالي بيانات القيد ناقصة.

أخويا! أخويا مين يا جدع أنت.. أنا ماليش إخوات.

لأ، لك أخ اسمه «جلال».

«جلال» مين يا عم بلاش هزار.. أنا ماليش إخوات.

الكمبيوتر هنا مطلع لك أخ اسمه «جلال» بنفس بيانات الأب والأم.

طيب يعني أجيبيك أبويا وأمي يحلفوا لك إنهم مخلفوش غيري.

يعني تقنكر هاصدق الحلفان ولا الكمبيوتر؟

طب والحل إيه؟

تطلع على الأحوال المدنية في العباسية وهم يحلّوا لك الموضوع دا.. إنما عندي.. فيه «جلال».

انصرف «بلال» وهو لا يدري كيف يحل هذه المشكلة التي لم تكن تخطر له على بال، في الليل

ذهب إلى المقهى كي يلتقي أصدقاءه كعادته ولكنه بدا شاردا على غير عادته فسأله «عادل»:

مالك يا «بلال»؟

لا ماتشغلش بالك.. موضوع كده شاغلني.

لا بجد.. مالك مسهم كده وسرحان؟

مفيش يا عم.. رحت النهاردة أستلم القيد العائلي بتاعي عشان أقدم في الشغل الجديد.

طب وبعدين؟

طلع لي أخ جديد.

ألف مبروك يا معلم وهاتسميه إيه؟

باقولك أخ مش ابن.. وبعدين هما مسمينه جاهز.

اسمه إيه بقى؟

«جالل».

«جالل»! ماتسميه اسم جديد روش كده.. أدهم.. أكرم.. مالك.

يا عم بقولك هو متسمي جاهز.

ودا اتولد امتى دا.

دا حضرتك مولود من 35 سنة.

طب ومعزمتناش على السبوع ليه يا ندل؟

تصدق لو مبطلتش هزار يا «عادل» هاولع فيك.

طب بجد إزاي اتولد من 35 سنة.. دا كده يبقى قدك بالضبط.. توأمك يعني.

بالضبط.. متسجل كأنه أخ توأم ليا.. الجاهل اللي سجل الاسم في الدفتر كان خطه زي الزفت

كتب «بلال» كأنها «جالل».. والحمار اللي بينقل من الدفتر للكمبيوتر احتار يكتبها «بلال» ولا

«جالل» راح كاتب الاتنين.. ونزلت كده على الكمبيوتر.

كده بقى يا معلم أنت في حرامية في تايلاند بتاع كريم عبدالعزيز اللي اكتشف فجأة إن ماجد

الكدواني يبقى أخوه.

مش باقول لك بتهزر.

يعني هو اللي إنت بتقوله دا حد يصدقه؟

والله هو دا اللي حصل.

طب وهتعلم إيه؟

هاروح بكرة السجل المدني في العباسية أشوف حل للموضوع دا.

في اليوم التالي اتجه «بلال» إلى مصلحة الأحوال المدنية بالعباسية واتجه إلى مكتب التصحيح

ليجد طابورا طويلا من المواطنين الذين لديهم أخطاء في الأوراق الرسمية.. وقف في الطابور

منتظرا دوره حتى وصل إلى الشباك.

صباح الخير.

هابيجي منين الخير.. نعم!

من فضلك أنا عندي غلط في القيد العائلي.. فيه أخ متسجل وأنا ماليش إخوان.

دا مش عندي.. اطلع الشئون القانونية فوق في التالت.
صعد «بلال» الدرج لأن المصعد معطل بالنسبة للمواطنين ويعمل فقط لكبار الضباط العاملين..
وصل إلى مكتب الشئون القانونية واتجه لإحدى الموظفات المنهمكة بشدة في وضع الدقة والتقلية
على كيس الكشري الذي ستقطر به.

صباح الخير.

قالت دون أن تنتظر له:

عند مدام عفاف.

هو إيه دا اللي عند مدام عفاف؟

اللي إنت عايزه.

هو إنتي عارفة أنا عايز إيه؟!!

عند مدام عفاف.

اسمعي الأول أنا عايز إيه وبعدين قولي.

ما أنا هاسمك وهعرف وهايطلع اللي أنت عايزه عند مدام عفاف.. أنا باوفر وقتك ووقتي.
معلش هاعطل حضرتك عن الكشري ثواني بس.

قول يا سيدي.. وأدي الكشري.

أنا كنت عايز أطلع قيد عائلي.

القيد العائلي عند مدام عفاف.

رحت القسم قدمت عليه وقال لي القيد هابتأخر 10 أيام.

الطلبات المستعجلة عند مدام عفاف.

وأنا باستلم القيد لقيت عندي أخ متضاف غلط في القيد العائلي وعايز أصلح الغلطة دي.

التصحيح عند مدام عفاف.. زي ما قلت لك في الأول.

طب هي فين مدام عفاف.

ماجتش النهاردة.. اتفضل بقي متعطلناش.

أنا عايز المدير.. هو فين؟

عند مدام عفاف.

أفندم!!

مكتبه في آخر الممر قدام مكتب مدام عفاف.. اسمه الأستاذ متولي.

اتجه «بلال» إلى مكتب المدير وهو في قمة الثورة والغضب طرق الباب مرة واثنين وثلاثا دون أن يسمع السماح بالدخول ففتح الباب ودلف إلى المكتب ليجد موظفا ضخم الكرش والأنف والصوت يأكل شطيرة ضخمة من الفول ويقراً الجريدة لم يرفع عينه عند دخول «بلال» إلى المكتب ولم يوله اهتماما أكبر مما كان سيوليه لو أن ناموسة دخلت إلى المكتب فبادره «بلال»:

صباح الخير.

.....
صباح الخير يا فندم.

.....
رفع «بلال» صوته قليلا:

صباح الخير يا فندم.

نعم؟

أنا عندي مشكلة ومحدث عارف يحلها.

الموظفين بره.

ما هم الموظفين معندهمش حل عشان كده جيت لحضرتك.

وأنا مالي ومال مشاكلك.

دهش «بلال» حيث كان يظن أن من ضمن مهام المدير حل المشكلات التي يعجز الموظفون عن حلها.

مش حضرتك المدير هنا.

أديك قلتها.. المدير.. ودا شغل موظفين.. مالي أنا ومالك بقي؟

معلش يا فندم استحملني شوية هاعطلك 3 دقائق بس.

ها.. خير.. في إيه؟! بس انجز ومن غير كتر كلام.. ويستحسن من غير كلام خالص.

من غير كلام إزاي يعني.. أشاور يعني زي اللي بيلعبوا أفلام؟

أنت هاتهزر يا مواطن.. من غير كلام يعني لو عندك ورق قدمه ومنتكلمش كتير وأنا هاعرف المشكلة.

قدم له «بلال» الأوراق الرسمية التي تمثل مشكلته.. قلب فيها بأصابع ملوثة بالفول والزيت والصلصة، وقضم قزمة أخرى من الشطيرة قبل أن يسأل بغم مليء بالطعام:

مالك بقي إيه مشكلتك؟

أتكلم؟

أمال يعني أنا هاقرا أفكارك.. ماتتطق يا أستاذ ماتتر فزناش على الصبح.

حضرتك القيد العائلي دا في أخ ليا اسمه «جلال».

آه.

أنا بقي ماليش اخوات أصلا.

بس الورق بيقول إن لك أخ؟

ما هي دي المشكلة.. وأنا عشان كده جاي لكم.

ضغط متولي على جرس على مكتبه فدخل الساعي مهرولا، أشار متولي بغطرسة إلى جهاز

الكمبيوتر الموضوع على مكتبه:

يا جابر.. تعالي دوس على الزرار دا وافتح الكمبيوتر.

فهم «بلال» حينها أنه ليس من ضمن مهام المدير الضغط على الأزرار.. ضغط جابر على زر

فتح الكمبيوتر وخرج من المكتب بينما أخذ متولي يلعب على أزرار الحاسب وقال:

أهو يا أستاذ.. أخوك «جلال» بنفس اسم الأب واسم الأم وتاريخ الميلاد.. يبقى توأمك.

ما هو أنا باقول لحضرتك إن ماليش إخوات أصلا.

يا أستاذ افكر كويس.. كلنا بننسى.

فيه حد ينسى أخوه!

دا في حد بينسى اسمه يا أستاذ.. وبعدين أهو متسجل على الكمبيوتر.

أبوة ما هي دي المشكلة.. إنه متسجل على الكمبيوتر.

الكمبيوتر بقي مستحيل يكون فيه غلط.. لأنه مش بني آدم هايقرا غلط أو ينقل غلط.

وهو مين اللي حط البيانات على الكمبيوتر؟

موظف السجل المدني.

والموظف دا مش بني آدم؟

أمال روبات كونترول.. بني آدم طبعاً.

يبقى ممكن يغلط.. وهو دا اللي حصل معايا.
البيانات دلوقتي على الكمبيوتر.. تبقى صح وما فيهاش غلط.
أمال أنتم ليه عاملين مكتب للتصحيح.
عشان لو حد عنده غلط في بياناته نصلحها له.
يعني ممكن يكون في غلط أهو.
باقول لك إيه إنت وجعت دماغي.. أنت عارف مين اللي هايحل لك مشكلتك؟
مين؟

مدام عفاف.

!!

قرن متولي قوله بضغطة على الجرس ليدخل جابر مسرعا:

وصل الأستاذ عند مدام عفاف.

مدام عفاف مجتث النهاردة.

خلاص تعالي لها بكرة.. بس من بدري.

في صباح اليوم التالي توجه «بلال» إلى السجل المدني واتجه مباشرة إلى الدور الثالث وجمال بنظره ليجد موظفة في حجم ووزن الثلجة الكريازي تقضم بيضة مسلوقة وترشف الشاي توقع أنها عفاف التي يحكي عنها الجميع فتوجه إليها قائلاً التحية المحرمة التي لا يرد عليها أحد في هذا المكان:

صباح الخير.. مدام عفاف؟

أيوة أنا.. خير؟

أنا من إمبراح بأسأل على حضرتك.

أديني جيت.. استنى بس أخلص الفطار وافضى لك.

بعد نحو نصف الساعة من الإفطار والرغي والشرب نادته عفاف:

ها خير.. إيه المشكلة؟

والله المشكلة عويصة جدا وكل الناس قالوا لي محدش هايحلها إلا مدام عفاف.

انتفخت عفاف فخرا وغرورا مما أضاف لانتفاخها الطبيعي بفعل الشحم والدهون:

قول يا سيدي.

حكى لها «بلال» قصته وأطلعها على الأوراق التي تثبت موقفه فقرأتها وبدا عليها عدم الاقتناع واستغرقت في تفكير عميق ثم قالت:

لما تحب تحرم أخوك من حقه متعلمش كده أبدا.. حرام عليك.. الدم عمره ما يبقى مية.
يا ستي أخ مين أنا ماليش إخوان.
الورق والدفتر والكمبيوتر بيقول إن لك أخ.. أسيب أنا كل دول وأصدقك إنت.
طيب ما هو على الكمبيوتر مكتوب إنه مطلعش بطاقة رقم قومي لحد دلوقتي.. يبقى عايش في
البلد إزاي 35 سنة؟

عادي.. ولد صايع وبايظ ماشي من غير بطاقة.
ومالوش أي سجل في أي مدرسة أو معهد أو كلية!
بتحصل.. الواد ماتعلمش.. متسرسب من التعليم.
ومالوش أي سجلات في الجيش!
خاين وعميل وهربان من التجنيد.
طيب ماشي.. عندي دليل تاني.. شوفي حضرتك كده أنا متسجل في الدفتر بتاريخ كام؟
20 أكتوبر.

والزفت جلال دا متسجل بتاريخ كام؟
27 أكتوبر.

إزاي بقاااااا.. فيه في الدنيا اتنين توأم فرق بينهم أسبوع.. أفهمها دي؟
عادي.. هو اتولد معاك يوم 20 واتسجل يوم 27.

ماشى.. إزاي بقى نتسجل في الدفتر برقمين مسلسلين ورا بعض زي ما هو مكتوب أنا رقم 36
وهو رقم 37.. معقولة يعني من يوم 20 لحد 27 محدش تاني اتولد ولا اتسجل؟
عادي.. الستات حصل لها احتباس.. السجل المدني كان قافل.. القلم كان ضايع في المكتب.. فيه
ألف احتمال واحتمال.

ومفیش من ضمن الألف دول إنه يكون غلط موظف في التسجيل؟
موظفين الحكومة ما بيغلطوش يا أستاذ.. اتفضل بقى متعطلنيش.

يعني مفیش حل؟

لأ طبعا فيه.

الحقيني بيه أنا في عرضك.. ولا بلاش عرضك دا أحسن أتوه.
الحل الوحيد إنك ترفع قضية.

قضية؟!!

طبعاً.. أنت عايز تلغي واحد من الوجود.. لازم حكم محكمة.

صرخ بثورة:

واحد مين.. طب هو فين الواحد دا.. حد يجيبه.. دا واحد مش موجود في الوجود أصلاً.

بس موجود على الكمبيوتر.. اتفضل بقى على المحكمة وماتضيعش وقتك.

يا ست حرام عليكى أنا مقدم على وظيفة.. عقبال ما الحكم يطلع أكون طلعت معاش.

مش شغلي يا أستاذ.. اتفضل ماتعطنيش.

تركته واستدارت –بمجهود شديد كفرقاطة حربية تتحرك في شارع شبرا- لتتناول أحد الكتب من
دولاب في منتصف الغرفة ولفت نظره التضخم الشديد الذي تعاني منه في مختلف أجزاء جسمها
حتى أنه للمرة الأولى في حياته يرى سيدة ذات «ليّة».. حمله فيها لفترة ليست بالقليلة حتى انتبهت
أنه لم ينصرف بعد فاستدارت مرة أخرى له متسائلة بعصبية:

في أي حاجة تاني؟!!

لا أبدا.. متشكر جداً.

بالسلامة.

انصرف «بلال» من الأحوال المدنية وهو يضرب أخماساً في أسداس، فقد اتضح له تماماً أنه
سوف يعيش لفترة ليست بالقصيرة في هذه المشكلة.. تذكر أحد أصدقائه منذ أيام الدراسة والذي
احترف المحاماة منذ التخرج في كلية الحقوق فاتصل به فوراً:

ألو.

أبوة يا «هاني» صباح الخير.

صباح النور.

حمد «بلال» ربه أن ما زال هناك بعض الناس يردون تحية الصباح.. ليس من بينهم موظفو
الحكومة أو ضباط الشرطة.

كنت عايزك في مشكلة قانونية.

إيه الحوار.. رسيني.

حكى له «بلال» الموضوع فأجابه «هاني»:

الحوار دا محتاج وقت طويل يا باشا.. عموما اعمل لي توكيل وهات صور شهادات ميلادك إنت ووالدك ووالدتك ووثيقة جوازهم ومؤهلك الدراسي ووصل نور وعقد إيجار الشقة وصور شهادات التطعيم من الصحة وأصل وصورة موقفك من التجنيد وفيش وتشبيه وشهادة مختومة من اتنين موظفين ودمغة بجنيه وعتيهم عليا ف المكتب بالليل.

طلباتك صعبة.. أجيب منين دمغة بجنيه!

هاها.. بتهزر.. مش مهم هابقي أشتريها أنا.

طيب الحوار دا ياخذ وقت قد إيه؟

يعني لو القاضي اقتنع بكلامنا والحق معاك وكل الورق مطبوط هانخلص في ست سبع سنين إن شاء الله.

يا حلاوة.

ياللا عشان أنا في جلسة وواقف قدام القاضي وهو مستنيني أخلص المكالمة.. أشوفك بالليل.. سلام.. عفوا سيدي القاضي.

أنهى «هاني» الاتصال تاركا «بلال» في حيرته.. ست سبع سنوات.. ما هذا العذاب.

في الليل ذهب «بلال» كالعادة لملاقة أصدقائه على المقهى.. فبادره صديقه «عادل» متسائلا:

مالك يا بني مكشر كده ليه؟

سييني في حالي يا «عادل» أنا مش ناقصك.

إيه بس في إيه؟

قالوا لي لازم أرفع قضية عشان أحل الموضوع.. والقضية دي هاتأخذ سبع سنين عشان تتحل.

أوبا.. كده دخلنا في فيلم أريد حلا يا معلم.. عارفه؟ فانتن حمامة سيدة الشاشة العربية.. يا بختك يا عم.

يا بختي إيه هو أنا قلت لك إني هامثل معاها.. بطل هزار بقى وحياة أبوك.

طيب حاضر.. هاتعمل إيه دلوقتي؟

مش عارف بقى.

طب ما تروح تاني للأحوال المدنية.. شوف أي ساعي أو موظف صغير.. ممكن يلاقي لك حل..

خش على بتاع الشاي وهو هايحل لك الموضوع.

بتاع الشاي.. أنت شكلك اتجننت.. يعني المدير ومدام عفاف ماحلوش المشكلة وبتاع الشاي هو اللي هايحل!

مين مدام عفاف دي؟

قصدك مين مدام عفاف دول.

مش مهم.. يابني افهم.. بتاع الشاي والساعي وعساكر المراسلة في أي مصلحة حكومية هم اللي في أيديهم كل المفاتيح يا معلم.. اسمع كلامي بس.. خش على بتاع الشاي واشرب واحد شاي وادفع له عشرة جنيه ومتاخذش الباقي.. ودردش معاه.. هو هايديلك.

بس أنا مايشربش شاي.

خلاص اشرب بنجر.

ولو معدوش؟

اشرب من البحر.

غالبا دا اللي هايحصل.

يابني طاوعني.

معديش حل تاني.. أجرب.

في الصباح الباكر اتجه «بلال» إلى مصلحة الأحوال المدنية للمرة الثالثة، حيث أصبحت زيارة مقام سيدي السجل المدني عادة صباحية لديه واتجه مباشرة إلى البوفيه فوجده مغلقا.. أسقط في يده فالخطة كانت مبنية بالكامل على لَحَحة عامل البوفيه.. وقف «بلال» حائرا لا يدري ماذا يفعل فلم يجد بدا من الذهاب مرة أخرى إلى مدام عفاف فوجدها كعادتها تمارس رياضة عَض البيض المسلوق.. كانت تعض البيض بشراسة غريبة وكأنها تعاقبها:

صباح الخير يا مدام عفاف.

أهلا أهلا.. هو إنت.

لأ، مش أنا.

خير عايز إيه؟ مش قلت لك روح المحكمة.

حضرتك المحكمة هاتأخذ سبع سنين.. يرضيكي؟

هاعمل لك إيه يعني؟ بكرة يطلعوا قانون العدالة الناجزة ويخلصوك بسرعة.

يعني مفيش أي حل تاني؟ شوفي لي حل الله يرضى عليك.

فكرت قليلا ورشفت رشفتين من كوب الشاي وفركت يديها ثم أخرجت من درج مكتبها نصف رغيف بلدي محشوا بالجبن الأبيض وقالت:

ناول دا لمدام مها وقل لها مدام عفاف بتصبح عليكى وبتقول لك هاتي كتاب قانون الأحوال المدنية.

تناول «بلال» الساندوتش من مدام عفاف بمنتهى الحرص وذهب به إلى مدام مها التي ويا للعجب لم تكن منهمكة في أكل أي شيء.. يبدو أنها دخيلة على مصلحة الأحوال المدنية.. أعطاه نصف الرغيف فكفت عن تقميع البامية وتناولته من يده واجترته في صمت حتى أنهته تماما. بالهنا والشفاء.. كانت مدام عفاف بتستأذنك في كتاب قانون الأحوال المدنية.

أخرجت مدام مها كتابا من تحت حلة البامية وناولته إياه بدون أية كلمة، فأخذه «بلال» وأسرع به نحو عفاف التي ألقته على مكتبها دون اكتراث، ثم قلبت في أوراقه حتى توقفت عند فصل من فصول الكتاب:

بص يا سيدي.. انت بس عشان شكلك ابن حلال.. حسب قانون الأحوال المدنية لو قدرت تجيب لنا من السجل المدني اللي إنت اتسجلت فيه إن فيه غلط في الدفاتر ممكن نحل لك المشكلة. فعلا؟

آه.. انت اتسجلت فين؟

في روض الفرج.

خلاص اطلع على السجل المدني في روض الفرج وهات منهم ما يفيد إن الدفتر متسجل فيه شخص واحد فقط مش اتنين وأنا أساعدك بعد كده.. هو دا الحل الوحيد.

خرج «بلال» من السجل المدني بالعباسية مستغرقا في التفكير.. فالذهاب إلى روض الفرج الذي لا يعلم أين هو يعتبر مغامرة غير مأمونة العواقب.. فضلا عن شكّه في أن هذه توزيعه جديدة من مدام عفاف كي تتخلص منه وتهرب من مشكلته.. إلا أنه بعد التفكير قرر المضي في المشوار حتى نهايته.. فليس لديه ما يخسره.. استقل سيارته واتجه من فوره إلى شبرا.. شبرا الموطن الأصلي للتكدس والزحام والالتحام، وأخذ يسأل المارة عن كيفية الوصول إلى قسم شرطة روض الفرج.. وهنا يظهر الفارق بين نوعين من المواطنين.. فعند السؤال عن الطريق في الشارع هناك من «يبدل» وهناك من «يُضِلُّ» وهو الأكثر شيوعا.. وقد كانت هذه عينة من الأجوبة التي تلقاها:

قسم روض الفرج.. دا بعيد جدا.

قسم روض الفرج.. طب وإنت إيه اللي جابك هنا؟

قسم روض الفرج.. قسم روض الفرج.. لا حضرتك دا مش هنا خالص.

روض الفرج.. هم قالوا لك فين؟

خش يمين اللي جاي واسأل تاني برضه.

شايف بتاع الموز اللي هناك.. وحش ماتشتريش من عنده سرحان عبدالبصير ستايل.

بعد الكثير من السؤال والتساؤل والتوهة والدوخة وصل أخيراً إلى الشارع المنشود ليفاجأ أن الشارع مسدود من منتصفه هو وكل الشوارع المحيطة بالقسم، وممنوع دخول السيارات إلا إذا كنت ضابط شرطة أو تعرف ضابط شرطة أو شكلك شكل ضابط شرطة.. فيما عدا ذلك عليك أن تركز في آخر العالم - كما قال السادات - وتذهب إلى القسم مشياً على الأقدام.. تحت الشمس والعرق والتراب والغضب اتجه «بلال» إلى بوابة القسم ليجد أحد أمناء الشرطة يعترضه على مدخل البوابة:

على فين يا أستاذ؟

طالع السجل المدني.

وعايزهم ليه؟

عادي مواطن وعايز السجل المدني.

هو أي مواطن يعوز السجل المدني؟! عايز منهم إيه يعني؟

هاسأل على حاجة في القيد العائلي.

هممم.. القيد العائلي.. معاك بطاقة؟

يعني هم اللي مش معاهم بطاقة مابيطلعوش السجل المدني؟

لأ، يا خفيف.. بيطلعوا على طره.

لأ، ولا طره ولا غيره.. خد يا سيدي البطاقة أهي.

البطاقة دي منتهية.. ممنوع تدخل بيها.

يعني إيه ممنوع؟!!

مينفعش تدخل القسم إلا لو معاك بطاقة سارية.. لازم تجدها.

حاضر.. أجددها منين بقي؟

من السجل المدني فوق.

ما قلنا كده من الأول.. تسمح لي أطلع أجددها؟

لأ.. بطاقتك منتهية ولازم تجدها قبل ما تطلع على السجل المدني.

طب إزاي يعني.. البيضة ولا الفرخة!

دي تعليمات يا أستاذ.

أشار له «بلال» بورقة نقدية من فئة العشرين وقال بلهجة ذات مغزى:

معلش والنبي عديني المرة دي وانا عنيا ليك.. وبعد كده أوعدك هاجدد البطاقة بعد كده كل ست ساعات.

قال الرجل على مضض:

ماشى المرة دي بس.

كثر خيرك.

أخذ أمين الشرطة منه البطاقة وسجل بياناتها ثم قال له:

حضرتك بقى تيجي بكرة الصبح.

ليه بقى؟

الساعة عدت واحدة يا بيه.. كل الموظفين مشيوا.

ويعني كان لزمته إيه التحقيق دا بقى؟

إجراءات أمن يا بيه.. اتفضل وتعالى بكره.. وهات معاك البطاقة، وتكون مجددتها.

.....

كالعادة انصرف «بلال» بخفي حنين، وخرج من شبرا متجها إلى بيته عازما على النوم حتى صباح اليوم التالي كي ينتهي هذا اليوم المحبط.. في طريقه إلى المنزل اتصل به «عادل» تليفونيا متسائلا عن آخر الأخبار:

مفيش هاروح بكرة السجل المدني أجيب ورقة إن الدفتر فيه غلط في التسجيل.

أيوه بقى.. كده أنت دخلت على فيلم عوكل يا معلم.. والراجل العجوز اللي هايجيب لك الدفاتر من الأرشيف ويولع في الدفتر.

إلهي يولعوا فيك يا بعيد.. إيه الذاكرة السينمائية الجامدة دي؟

يابني الدنيا سيما في طبيعتها كلها أفلام على رأي أغنية المرجيحة، واللي بيحصل لك دا أكبر دليل.

اعمل لي فيها بقى جورج أبيض.

يا عم لا جورج أبيض ولا جورج سيدهم.. أنا بارسيك على الحوار.. بكرة تخلي بالك من السبرتاية عشان الدفتر مايتحرقش.. أنت حر بقي.

عموما مافيش حل تاني.. خرينا ورا الكداب لحد باب الدار.

في اليوم التالي تواجد «بلال» أمام مكتب السجل المدني بروض الفرج وبعد إنهاء الإجراءات الأمنية من قبل أمين شرطة يمسك بباذنجانة مخلة ويتممز بها أثناء تسجيل البيانات في دفتر زوار القسم، ثم أرشده إلى حيث السجل المدني بإشارة متعالية من إصبعة.. اتجه «بلال» للسجل المدني ودلف إلى مكتب إحدى الموظفين ليلحق بها قبل أن تتهمك في أكل إفطار الصباح: صباح الخير.

هو إحنا لحقنا.. خير يا أستاذ.. إنت بايت هنا ولا إيه؟

معلش يا أستاذة أنا قلت ألحق من بدري قبل ما تتشغلوا في فطار أو شغل أو أي حاجة.
ما هي الولية أم دعاء اتأخرت بالفطار.. مش عارفة إيه اللي أخرها.
ربنا يجيبها بالسلامة.

خير يا سيدي عايز إيه على الصبح كده؟

حكى لها «بلال» عن تفاصيل مشكلته وأنهى حديثه قائلاً:

وقالوا لي إني لو جبت من هنا ما يفيد إن الدفاتر مافيهاش «جلال» يبقى المشكلة هاتحل بسرعة إن شاء الله.

مكانش يتعز يا أستاذ.. مش هاقدر.

ليه بس يا ستي؟ هادور معاكي في الدفاتر.

دفاتر إيه بس يا أستاذ.. الدفاتر كلها اتحرق في ثورة 25 يناير المجيدة.

اتحرقت؟!!

تذكر بقهر سخريه «عادل» وفيلم عوكل الذي حُرق فيه الدفتر المسجل به.

آه وشرفك.. كان فيه ثوار شرفاء في التحرير.. وناس شرفاء تانيين هجموا على القسم وحرقوا كل اللي فيه بمنتهى السلمية.. والدفاتر كلها اتحرقت من ساعتها.

دول مش الثوار حضرتك.

ثوار مش ثوار بقي مش شغلي.. أهم كتر ألف خيرهم حرقوا الدفاتر وريحونا من البحث والتدوير على اسم كل من هب ودب.

يعني مافيش أي نسخة من الدفاتر دي؟

نسخة من إيه بقى.. ما خلاص.. كان غسل واتغسل.

يادي المصيبة.

مانقولش كده.. كله خير إن شاء الله.

كده الوظيفة هاتروح عليا.. آخر أمل ليا كان في الورقة دي.

ممكن أديك ورقة إن مافيش دفاتر عندنا لأنها اتحرقت في الثورة.

هتف «بلال» مكملًا:

المجيدة.

طبعًا مجيدة.

ودي أعمل بيها إيه.. ما هي مش دليل إن مافيش «جلال».

مش عارفة.. يمكن تفيدك.. اسنتى صحيح.. أنا جت لي فكرة.

خير؟

عارف ممكن تلاقي نسخة من الدفتر فين؟

سألها «بلال» في لهفة:

فين؟

في دار المحفوظات في القلعة.. بس احتمال صعب.

أهو احتمال وخلاص.

وعموما آدي ورقة تقول إن الدفتر اتحرق ومافيش أي بيانات غير اللي على الكمبيوتر.

يا ريته كان اتحرق بجاز الكمبيوتر هو كمان.

يلا يا راجل أحسن عشان نبطل الشغلانة الهم دي.

عموما متشكر.. كتر خيرك.. سلامو عليكم.

مستعجل على إيه ماتقعد تقطر أم دعاء زمانها جاية.. جايبة فلافل وحاجات.

اتجه «بلال» من فوره إلى القلعة حيث دار المحفوظات.. متمسكا بأنامل الأمل البسيط الذي يلوح

بضعف في الأفق.. فقد يكون الحل في دار المحفوظات التي من صميم عملها القيام بحفظ كل الوثائق

والمستندات في نسخ زكوغرافية*.. اتجه إلى الباب ليجده مغلقا كعادة أبواب القدر في وجهه هذه

الأيام.. ووجد أحد العمال بجوار الباب فسأله:

هم الموظفين مشيوا ولا ايه؟

* ايه زكوغرافية دي؟! *

خير عايزهم في إيه؟

أصل في وثيقة كنت عايز أعرف في نسخة منها هنا ولا لا؟

وثيقة مهمة؟

مهمة جدا.. مسألة حياة أو موت.

وثيقة أثرية يعني؟

هي قديمة بس مش لدرجة أثرية.. يعني بقى لها يبجي 35 سنة بس.

لا اتظن يا بيه.. احنا هنا عندنا وثائق من مئات السنين.. بس وثيقة إيه دي برضه اللي انت

عايزها؟

وثيقة ميلاد.

ميلاد شخصية تاريخية ملك أو خديوي مثلا؟

لأ.. مش قديم قوي كده.. دي شهادة ميلادي أنا.

سأله باهتمام حقيقي:

هو حضرتك خديوي؟

لأ.

يبقى إنت جاي تهزر يا بيه.. يلا اتكل على الله معندناش وثائق هنا.

ليه بس.. مش من حقي أطلب شهادة ميلادي ولا إيه؟

يا بيه المواطنين العادة اللي زيكم يطلعوا الشهادات من السجل المدني.. دار المحفوظات دي

للشخصيات المهمة.

هو انا ما قلناكش.. مش الدفاتر اتحرقت في الثورة المجيدة.

دفاتر!! هو لسه حد بيطلع شهادات ميلاد من الدفتر.. أمال الكمبيوتر راح فين؟

لأ ما هو في مشكلة عائلية كده بيني وبين الكمبيوتر مش عارف أهلها.. وبعدين إنت

هاتصاحبني.. فين الموظفين خليني أسألهم؟

طلبك مش هنا يا أستاذ.. إحنا مابنحفظش هنا الحاجات دي.

أمال بتحفظوا إيه هنا؟ قرآن؟

طبعا.. عندنا مصاحف أثرية و...

خلاص يا عم أنت هاتعملي فيها مرشد سياحي.. سلام.

غادر «بلال» محيط دار المحفوظات بالقلعة والغبار يتطاير تحت شمس الظهرية وتتطاير معه حبات الأمل في وجود نهاية للروتين والبيروقراطية اللامتناهية في هذا البلد.. وتذكر الحالات التي كان يقرأ عنها في الصحف والمجلات عمن يقف أمام الموظف بشحمه ولحمه فيطلب الموظف منه إثباتا أنه حي يرزق، وأن يدلل على ذلك بشهادة من اثنين موظفين عموميين لا يقل مرتبهما عن مائة جنيه، كان يقرأ هذه الحكايات ويضحك معتقدا أنها من نسج خيال محرري الصحيفة حتى وجد نفسه في وسط حكاية أغرب من الخيال.. بنهاية اليوم قام بتحضير بعض الأوراق التي طلبها المحامي وتركها في المكتب عازما على زيارة مدام عفاف في الصباح التالي لاستشارتها في حالته بعد احتراق الدفاتر في روض الفرج.

في الصباح توجه «بلال» لأحد مطاعم الفول والفلافل القريبة من الأحوال المدنية بالعباسية، واصطحب باقة من الساندوتشات الخفيفة والثقيلة كي لا يدخل على مدام عفاف خالي الوفاض.. فبالنسبة لمدام عفاف قد يكون الفول كفيلا بإثارة شفقتها عليه وتجد له حلا آخر بعد أن سدت الطرق في وجهه.. دخل من بوابة المبنى وألقى نظرة على اللافتة السوداء الكئيبة «السجل المدني»، وبدا له أن إزالة النقطة من تحت «الجيم» ستجعل اللافتة أكثر منطقية.. عبر من تحت اللافتة واتجه صوب مكتب عفاف ودخل عليها ليجدها تهتم بالبده في تناول الإفطار فبادرها:

صباح الخير يا مدام عفاف يا عظيمة.

هو إنت.. إنت إيه يابني.. مربوط بأستك؟! كل ما نبعتك في حنة ترجع لنا تاني.

معلش بقى يا مدام عفاف.. إيه اللي في إيدك دا صحيح؟

فطار.. عشان أصطبج وافوق لك إنت وغيرك.

ودا فطار دا برضه.. دا أنا جيب لك فطار ملوكي.. فول اسكندراني وفول بالصلصة وفلافل محشية وجبنة مقلية وبطاطس مهروسة وبابا غنوج وبيض مسلوق وبتنجان مقلي ومخلل وسلطة ورز بلبن وبيبيسي دايت.

بس؟

بألف هنا وشفا.

ليه دا كله يعني؟

يدوب عشان يكفي.. آ.. قصدي مش كثير عليك يا مدام عفاف.. وبعدين دا إنتي اللي هاتحلي لي مشكلتي مع الكمبيوتر يبقى لازم أعمل اللي يرضيكي.

سألته وهي تهبر ساندويتش الفلافل هبرًا:

إنت كانت إيه مشكلتك كده فكرني؟

حكى لها بإيجاز عن مشكلته مع «جلال» والكمبيوتر والسجل المدني ورحلته إلى القلعة وعودته خالي الوفاض.. استمعت مدام عفاف لحكايته، ثم نظرت للساندويتشات المائلة أمامها كأسرى حرب ينتظرون مصيرهم من قائد الأعداء، ثم حكمت على ساندويتش البطاطس المهروسة بالإعدام هبّراً، وقررت تنفيذ الحكم فوراً فألقته إلى فمها وأعملت فيه صفيين من الجنود الأشداء ثم قالت:

بص يا أستاذ بلال.. الحل الوحيد إنك تجيب شهادة وفاة لـ «جلال»، وتخلص منه ومن سيرته الغم دي.

شهادة وفاة؟!!

أبوة.. ساعتها يتكتب في القيد العائلي إنه متوفى ويبقى كأنه مالهوش وجود أصلاً.

ودي أعملها إزاي دي بقي؟

مش عارفة.. بس ممكن تسأل بقي حد من الموظفين القدام وهو يدلك.. وتعالى لي بكرة قل لي عملت إيه.

بكرة؟!!

أبوة.. بكرة وبعده.. وتعدى عليا كل يوم.. بس متجيش بإيدك فاضية.

قالتها بلهجة ذات مغزى وهي تشير لهضبة الفلافل المائلة أمامها في طبق الالتهام.. ففهم «بلال» قائلاً:

آآه.. من عنيا.. كل يوم من دا.. أنا بقيت مورد التموين الخصوصي بتاع حضرتك.. عن إذتك.

انصرف «بلال» من مكتب مدام عفاف بعد أن قررت أن يكون هو المسئول عن وصول الدعم الغذائي لمستحقه وقد فتحت أمامه باباً جديداً للأمل.. واتصل بصديقه «هاني» المحامي في التليفون ليستشيريه فيما استجد من أمل:

آلوا يا «هاني» إزيك.

إزيك إنت.. أنا استلمت الورق.. ناقصه شوية أختام وتوقيعات وتصديقات بس أنا هاتصرف.. الموضوع هاياخد وقت وشوية مصاريف لحد ما ارفع القضية.

لأ استنى قبل ما تتصرف.. في حل تاني غير القضية.

حل إيه؟ يا بني مافيش غير القضاء المصري الشامخ.. هو صحيح بيتأخر.. إنما بيتأخر بشموخ.

ما هو عشان بيتأخر أنا قررت ألجأ لحل تاني.

بس أنا خلاص رفعت القضية.

أنت مش لسه قايل إنك هاتتصرف ولسه قدامنا وقت طويل!

لا ما أنا اتصرفت خلاص.. عموما هاتتصرف وأغيبها بس دا هايكلفك شوية.. المهم.. قل بقى إيه

هو الحل الثاني؟

شهادة وفاة.

إنت عايز تموته يعني؟

أموت مين يا بني إنت.. أموت واحد مش موجود أصلا.. أنت هاتلبسني قضية؟!!

قصدي يعني تموته على الأوراق الرسمية.

آه.

طيب قول كده.

أديني قلت كده.. عندك حد ينجزنا في المشوار دا.

أنا كنت أعرف حد لكن مش عارف لسه شغال في الحاجات دي ولا لأ.. عموما هاسأل وأقول

لك.

ماشى بس متتأخرش عليا.

مسافة السكة.. يلا سلام.

انتظر «بلال» ردا من «هاني» طوال اليوم لكنه لم يرد فاتجه بنهاية اليوم إلى ملتقى الأصدقاء

ليجد «عادل» قابعا في ركنهم المعتاد.

إنت فين يا عم بقى لك يومين مش ظاهر؟

أديني مسحول والله في الموضوع الزفت اللي جالي دا.

وآخر الأخبار إيه.. خلصته؟

لسه بدري.....

قص عليه «بلال» مستجدات الأحداث وسرد له موضوع شهادة الوفاة:

كده الموضوع اتعقد خالص.

هانعمل إيه بقى.. بلدنا كده وآدي الروتين.. هانكفر بالبلد؟ نشوف بلد تانية بتحترم النبي آدمين لا

سمح الله! كل مواطن بياخذ نصيبه.

ضيق «عادل» عينيه مفكرا:

طيب وإنت عايز تخلص منه ليه؟ أنا بقى هاقول لك على خطة أحسن.
خطة إيه؟

إنت هاتطلع بطاقة رقم قومي لـ «جلال» بصورتك.. ونضرب له عقد ملكية لقطعة أرض ودي حاجة سهلة جدا على فكرة، وبضمان الأرض ناخذ قرض كبير من البنك.. ونطلع له باسبور وتسافر على أي بلد في الدنيا وترجع بباسبورك الأصلي.. «بلال» يعني.. وهوبًا «جلال» يضرب على فلوس القرض والحكومة والبنك يدوروا على «جلال» بقى ويثبتوا إنه حي وله كيان.. ونكون احنا بنتنغم في العز والنعيم.

إحنا؟!!

أيوة.. أنا وأنت ما أنا هاخذ نص المبلغ.. مش أنا صاحب الفكرة.. ولا عايز تفرقني.

لأ، طبعًا.. أوعدك لو الموضوع ماتحلش هاعمل كده.. وهاتبقى الحكومة هي اللي جابته لنفسها.
حكومة تستاهل.. واحنا نستاهل كل خير.

هنا رن جرس التليفون المحمول الخاص ببلال.. كان «هاني» هو المتصل.

أيوة يا «هاني».. عملت إيه؟

فرجت يا سيدي.. لقيت لك اللي هاخُلص.

قل لي.

واحد شغال في المشرحة.. هانستنى حادثة بييجي فيها مجهول.. الراجل هايكمر الجثة ويقول إنها بتاعت «جلال».. ونطلع تصريح دفن باسمه ثم شهادة وفاة سليمة ورسمية.

بس دا كده الموضوع كبير قوي.. أنا كنت فاكر هانطلع شهادة وفاة بس.. مش جثة ومشرحة وحاجات كده.

لا طبعًا.. عشان نعمل الغلط لازم نعمله صح.. وأهم من الشغل ظَبُط الشغل.. وبعدين دا الراجل هايكرنا عشان معرفة قديمة.

هايكرنا إزاي.. هاينقي لنا جثة طازة يعني؟

لأ هايكرنا في السعر.. هايأخذ عشرة آلاف جنيه بس.

بس! لا دا كده يبقى كرنا قوي.. خلاص سيبيني أفكر وأرد عليك.

بس بسرعة عشان عنده بضاعة جاهزة والحاجات دي لُقَط.. عايزين نلحق.

لُقَط! هو إحنا بنجيب شقة من ابني بينك؟ عموما هابقي أكلمك.. سلام.

سأله «عادل» عن فحوى المكالمة فأخبره «بلال» بالتفاصيل.
أوبّا.. كده يا معلم قلبنا على فيلم احترس من الخط بتاع عادل إمام.. وصلت للزعيم مرة واحدة..
هنيا لك يا عم.

خلينا كده ندخل على فيلم ونخرج من فيلم ولا حد عارف يحل المشكلة!
في اليوم التالي قرر «بلال» اللجوء إلى أحد المسؤولين الكبار في الأحوال المدنية علّه يكون لديه
حل آخر غير الالتواء والتحايل على القانون.. اتجه من جديد إلى المصلحة فوجد مكتب أحد الضباط
المسؤولين عن الشئون القانونية طرقت الباب فلم يسمع صوتا يدعو للدخول فطرق مرة أخرى.. ثم
تجرأ ففتح الباب بحذر ليجد الضابط الذي يحمل على كاهليه رتبة عقيد يجري حوارا بروتينيا مع
نصف فرخة بالسلطات وإصبعين من الكفتة ورغيفين.

مساء الخير يا فندم.
منها ههههور مساء النور بقم مليء بالطعام.
من فضلك أنا عندي مشكلة وكنت عايز أسأل حد مسئول على حل ليها.
الموظفين كلهم مشيوا.
أمال سيادتك مين.

أنا العقيد وحيد من الشئون القانونية.. بس التعامل مع المواطنين أمثالك يبقى مع الموظفين مش
معايا شخصيا.. وبعدين دي ساعة غدا.
معلش أنا أسف والبركة فيك والشرطة في خدمة الشعب و....
خلاص إنت هاتشحت.. احكي بس بسرعة.

قص عليه «بلال» الموضوع بالتفصيل ويبدو أن العقيد وحيد وجد الحكاية مسلية فأخذ يستمع
وتظهر على وجهه آثار الاستمتاع بالفرخة التي يبدو أنها كانت جيدة الشواء.. انتهى «بلال» من
قصته وانتظر ريثما ينتهي الضابط من غدائه ولعق أصابعه ثم قال:
بص يا أستاذ.. الموضوع بتاعك دا مالهوش غير حل من ثلاثة.. قضية ومحكمة.. شهادة وفاة لـ
«جلال».. أو شهادة ميلاد ورقية من بتوع زمان تثبت إن «جلال» هو «بلال» وحصل خطأ في
النقل من الدفتر للكمبيوتر.

ودي أجيبها منين؟
من السجل المدني اللي إنت متسجل فيه.

ما هو سيادتك اتحرق في الثورة المجيدة زي ما قلت لك .
خلاص شوف أي جهة رسمية تكون مقدم فيها شهادة ميلاد ورقية.. جامعة.. مدرسة.. أي حاجة..
وخذ ملفك وهات لنا الشهادة وأنا أخلص لك الموضوع.
مدرسة.. والله فكرة.. شكرا يا وحيد باشا.. ربنا يخليك للناس.
انصرف «بلال» وهو ينوي زيارة مدرسته القديمة في اليوم التالي.. فهو يذكر جيدا أن ملفه كان
يحتوي على عدة شهادات ميلاد ورقية قديمة.. دعا «عادل» ليرافقه في رحلته إلى المدرسة.

طبعا عارف دا يبقى فيلم إيه؟

إيه؟ مدرسة المشاغبين؟

لا يا حبيبي.. دا فيلم الناظر بتاع علاء ولي الدين.. على الله بس نلاقي الناظر زي ما هو
ماتغيرش.

ماشى.. معادنا بكرة الصبح.

في الصباح التالي مر «بلال» على صديقه «عادل» ليذهبا معا إلى مدرستهما القديمة.. وجد
«عادل» يرتدي زي المدرسة البنطلون الكحلي والقميص اللبني ويحمل حقيبة مدرسية صغيرة..
حتى شعره أنامه على أحد جانبيه فبادره «بلال» ساخرا:

إيه يابني المنظر اللي انت عامله دا؟

أهو باسترجع الذكريات.. بس كيس الساندوتشات مش عايز يدخل في الشنطة.

كمان ساندوتشات!

طبعا آمال هنعمل إيه في الفسحة.. يلا بينا بسرعة بقى على المدرسة.

اتجه «بلال» و«عادل» نحو المدرسة وأخذا يسترجعان ذكريات الطفولة والدراسة والتزويغ
المدرسي البريء الذي كان يتبعه لعب الكرة لساعات طويلة.. مرا بجوار سور المدرسة الذي طالما
مارسا قفزة الثقة من فوقه فلم يجدا أي طالب يقفز من فوق السور مما أثار دهشتهم.. يبدو أن طلاب
هذا الجيل لا يزوغون تركيزا في الحصص الدراسية.. وبوصولهما إلى باب المدرسة الأخضر
الكبير وجداه مفتوحا على مصراعيه بدون حارس أو بواب.. هذا الباب يذكر «بلال» أنه كان
موصدا بالسلاسل والجنازير والمتاريس وأربعة كلاب بلدي مسعورة والعديد من أعضاء سلاح
الشرطة المدرسية المدججين بالعصي والخراطيم ودفاتر الغياب لمنع أي طالب تسول له نفسه
الاقتراب من باب المدرسة.. وتذكر أيضا استغلال أحد الفراشين امتلاكه مفتاح قفل الباب وكان
يعرض على الطلبة تعاطي رشوة عشرة جنيهات كي يخرجهم من المدرسة.. كان هذا مبلغا كبيرا

للغاية في ذلك الوقت يكفي لخروج الطالب من جهنم نفسها* .. أما الآن فالباب مفتوح ولا أحد يخرج منه.. ماذا هناك؟! اتجها مباشرة إلى مكتب الناظر فلم يجدا أي فراش أو ساع أمام باب مكتبه.. طرقا الباب ودخلا فوجدا المدير لم يتغير منذ كانا في الثانوية العامة.. لم يتغير شخصه فقط، ولكن كل شيء آخر فيه قد تغير.. صوته وهيئته وقوته.. أصبح بالطبع- أكبر سنا.. وأضعف.. واهن الصوت متعبه.. ما أن رأهما حتى رحب بهما ودعاهما للجلوس على غير عادته حيث كان ترحيبه بأي طالب أيام زمان بألة اخترعها بنفسه تجمع بين قوة الخرطوم ولسعة الكرباج وصلابة العصا وإهانة الشيشب.. وكان يسميها «الفرقلة».. نظر «عادل» في المكتب عن الفرقلة سالفة الذكر فلم يجدها.. تقدما من المدير وبادره «بلال» محييا:

إزاي حضرتك يا أستاذ حامد.

أهلا يابني.. اتفضلوا اقعدوا.

إحنا كنا طالبة في المدرسة دي في ثانوي.

قال المدير بأسى:

* في الواقع لم يكن هناك فارق بين جهنم والمدارس الحكومية.

طالما قلت يا «أستاذ» تبقى أكيد كنت هنا من أكثر من عشر سنين.
مانا لازم أقول «أستاذ» يا أستاذ.. أمال هقول لحضرتك إيه يعني؟
كمان حضرتك!! فكرتني بأيام زمان.
ليه يا أستاذ.. هو الطلبة بتقول لحضرتك إيه دلوقتي؟
الطلبة.. وهما فين الطلبة؟ دا أنا بقى لي أسبوعين مشفتش حد فيهم.. طب والله وحشوني
ووحشتني دوشتهم.

يعني إيه؟ مابيجوش؟ طب والغياب!
ومين بس اللي هاياخد الغياب؟
المدرسين يا أستاذ حامد.
والله وحشوني هما كمان.. كلهم ببيجوا يمضوا ويمشوا عشان الدروس.. وبيأخدوا الطلبة معاهم..
والباب مفتوح أهو زي مانتم شايفين اللي عايز يدخل يدخل.. واللي عايز يخرج يخرج.
طب وفين.. الموجهين.. مشرفين الدور.. رائد الفصل.. مشرف الإعدادي والثانوي.
كلهم يابني مشغولين في الدروس الخصوصية.
يعني الطلبة مابتجيش خالص؟
لأ طبعاً.. ساعات ببيجوا يأخدوا جدول الامتحان.. يأخدوا رقم الجلوس.. يأخدوا بحسبي ويشقروا
علياً.. غير كده مفيش.

دا الدنيا اختلفت خالص.. أنا كنت فاكرا حاجي ألاقي المدرسة زي زمان.
وهو إيه يابني لسه زي زمان.. زمان كان اللي يتكلم فيكم في الفصل المدرس يعمل عليه حفلة..
وكان آخركم تلعبوا بالأقلام.. تلعبوا أفلام.. تاكلوا ساندويتشاتكم أثناء الحصة.. آخر أيام حضور
الطلبة هنا كانوا كلهم شغالين باللباتب والتبالت* والمدرس شغال ولا حياة لمن تتادي.
طيب يا أستاذ حامد ماتكلم الوزارة.

الوزارة مشغولة بالكادر الخاص والمظاهرات ومشاكل الموظفين وتسريب الامتحانات.. وأنت
عارف إن مابيعيشلناش وزير.. سيبك.. المهم انتم يا ولاد.. بقيتوا فين بعد ما سيبتوا المدرسة؟
في الدنيا.. المهم أنا كنت عايز حضرتك في خدمة.
خير؟

يا ترى الملفات بتاعتنا لسه موجودة ولا اترمت؟

بص يابني.. أنا مارميتش حاجة من عشرين سنة.. الملفات كلها فوق السطح.. عايز إيه منها؟

قص له «بلال» الحكاية كاملة ثم أردف:

لو لقيت الشهادة الورق بنفس رقم القيد بتاع «جلال» وباسم «بلال» هاتوفر عليا وقت كتير جدا.

طبعا أنا مش هقدر أساعدك في التدوير.. السطح عندك..

*جمع «لايتوب» و«تابلت».

اطلع انت وصاحبك ودوروا ولو لقيت يبقى حظك حلو.
شكرا يا أستاذ حامد.. يلا يا «عادل».

صعد «عادل» و«بلال» إلى سطح المدرسة وألقيا نظرة على فناء المدرسة الذي كان دوما يعج بالطلبة الذين كانت أقصى أمانهم انتهاء اليوم الدراسي والعودة إلى المنزل لمشاهدة أفلام كارتون القناة الثالثة بعد الغداء.. بدا لهم الفناء موحشا للغاية وهو خاو على عروشه إلا من كلب ضال كان يلبي نداء الطبيعة داخل مرمى كرة القدم.. نفض «بلال» هذه الأفكار عن رأسه وركز في أكوام الملفات الملقاة أمامه والتي تمثل الكومة منها حجم حجر من أحجار الأهرامات، فضلا عن أنها ليست مرتبة بأي شكل من الأشكال لا أبجديا ولا بحسب التواريخ ولا أي شيء..

هانبدأ منين يا عبقرى؟

مش عارف.. الموضوع كبير قوي.. تعالى نبدأ بالكومة اللي هناك دي.
غاص الصديقان بين الملفات لمدة ست ساعات متواصلة حتى عثر «بلال» بمعجزة ما على الملف المنشود وصاح في فرح:

أويوركا.. أويوركا.

إيه يابني.. نحلة قرصتك؟

نحلة إيه يا جاهل.. مش عارف أويوركا يعني إيه؟

عارفه طبعا.. دا الجون بتاع ريال مدريد.

يا عيني على العلام.. يابني أويوركا دي يعني وجدتها.

وجدتها!! عبط احنا يا عصام.. وجدتها يعني أي فاوند شي I found she

She!

أبوة.. مش الشهادة مؤنثة تبقى she.

شي يا حم.... ولا بلاش.. أويوركا دي أرشميدس قالها لما اكتشف قانون الطفو.

مخدنهاش دي في الفصل.

مش مهم.. المهم إننا لقينا الشهادة.. يلا بينا.

مرا في طريق عودتهما على مكتب المدير الذي سألهما بصوت واهن:

إيه يابني.. لقيت اللي بتدور عليه؟

آه يا أستاذ حامد.. متشكرين جدا.

العفو.. ابقوا تعالوا يا ولاد.. أنا على طول بابقى هنا.

أكد هانيجي يا أستاذ.. عن إذتك.

خرج الصديقان من المدرسة بأحاسيس مختلفة يغلفها الشعور بالسعادة للحصول على الورقة التي سوف تنهي كل هذا العذاب البيروقراطي.

نام «بلال» في هذا اليوم محتضنا شهادة الميلاد الورقية شاعرا بارتياح شديد بعد أن أصبح يمتلك دليل برائته من تهمة «جلال» في يده.. في صباح اليوم التالي توجه «بلال» بالشهادة الورقية إلى مصلحة الأحوال المدنية التي صار يعرف طريقها أكثر مما يعرف غرفته.. توجه مباشرة نحو مكتب العقيد وحيد ملوفا بالشهادة الورقية في يده.. نظر إليه وحيد بعدم اكتراث مشوب باللامبالاة مغلف بعدم الاهتمام محاط بالتجاهل فبادره «بلال»:

باشا.. أنا جيت الشهادة.

شهادة إيه؟

شهادة ميلادي.

ومالك فرحان كده ليه.. وبعدين انت لسه مطلع شهادة ميلاد دلوقتي! إيه الجنان دا؟!!

أنت نسييتي ولا إيه يا باشا؟

نسينك.. آه.. أحبك لا.. مالك ياخويا متأثر كده ليه.. هو أنا خالك ولا حاجة؟

لا يا فندم العفو هو أنا أطول؟

أمال إيه حكايتك؟

قص «بلال» قصته للمرة المليون في تاريخه وأنهى القصة بالجملة المنقذة:

وحضرتك قلت لي لو جيت شهادة ورقية باسم «بلال» وبنفس رقم قيد «جلال» ممكن المشكلة تتحل.

فكر وحيد مليا ثم قال:

طبعا تتحل.. إنت تاخذ الشهادة دي وتطلع بيها على المحكمة وتجبب لنا حكم قضائي.. وأنا أحل لك المشكلة فوراً.

محكمة!! مش حضرتك قلت لي لو جيت الشهادة مش هاحتاج لمحكمة!؟!

لأ أنا ماقلتش كده.. إنت كده أثبتت إن فيه خطأ في تسجيل «جلال» وإن اسمه الحقيقي «بلال».

الله ينور عليك.. يبقى مفيش «جلال».

لأ.. يبقى فيه في الدفتر اتنين «بلال».. «بلال» برقم 36 و«جلال» برقم 37.. عليك بقى إنك تثبت إنهم واحد مش اتنين اخوات.

إزاي بقى اتنين اخوات يبقى لهم نفس الاسم؟

قبل سنة 1992 كان القانون لا يمنع تسمية الإخوات بنفس الاسم.

لا يا شيخ!

سمع بلال بصوت الخيال عادل يقول له «قشطة يا معلم.. كده دخلت على فيلم كده رضا.. منة شلبي يا عم مين قدك».. نفص بلال هذه الأفكار سريرا وقال للضابط بحدة لم يستطع تمالكها:
بص يا حضرة الضابط.. انت لو عايز توزعني قول بالذوق.. إنما تستخف بعقلي وتقول لي الكلام الفاضي دا يبقى عيب.

طب يا مواطن.. الكلام خلص.. وموضوعك يتحل في المحكمة.

ماشى يا ضابط هاروح المحكمة.. بس ربنا يسامحك على التعنت اللي إنت فيه دا.

يا ابني دي وظيفتي هنا أساسا.. اتفضل.

خرج «بلال» يجر أذيال الخيبة وشهادته الورقية.. حيث كان يعتقد أن المشكلة قد انتهت تماما بالأدلة والمستندات.. في طريقه وجد مدام عفاف على مكتبها ولدهشته لم تكن تمارس أي نشاط غذائي.. نادته فاتجه إليها ببطء:

أنا شايفاك خارج من مكتب العقيد وحيد.. عملت إيه معاه؟

ولا حاجة.. قال لي أروح المحكمة.. رغم إني جبت شهادة تثبت إن «جلال» هو «بلال» بس برضه مش عايز يقبلها.

شهادة إيه؟

أخرج لها «بلال» الشهادة الورقية وجميع المستندات.. نظرت فيها مليا ولأول مرة بدا عليها الاقتناع بقضيته فقالت له:

أنا كنت فاكراك بتحاول تحرم أخوك من ورث أو حاجة.. بس كده أنا اقتنعت بكلامك.

طيب الحمد لله.

ها أقول لك على حاجة.. فيه لجنة أحوال مدنية في الزيتون.. روح هناك واعرض مشكلتك.

واللجنة دي بنتجز ولا هاتأخرني سنين برضه؟

لأدي لجنة بتتعد مرة كل شهر وبتطلع قرار قضائي ملزم وواجب التنفيذ.. جرب وروح.
وفين الزيتون دي أصلا؟
روح واسأل بقي.. أديني دليتك وأنت حر.

اتجه «بلال» إلى منطقة الزيتون ليسأل على الأحوال المدنية الموجودة بها.. وبعد سؤال من يعرف ومن لا يعرف وصل أخيرا إلى المبنى الرمادي الكئيب في شارع أضيق من خلق أمناء الشرطة في إشارة مرور مزدحمة.. على باب المبنى سأل عن الشؤون القانونية فدلّوه على الدور الثالث.. اتجه إلى السلم وصعد وسط زحام عشرات الآلاف من البشر الزاحفين إلى السجل المدني لحل مشاكلهم مع الحكومة.. فهناك جورجيت عازر صليب المقيدة في الأحوال المدنية كمسلمة وتابعة لإحدى الطرق الصوفية، وهناك عصمت محمد حشمت التي تجاهد لإثبات أنها أنثى رغم أنها مسجلة على الكمبيوتر كذكر.. والواقع أن نظرة واحدة لعصمت تجعلنا نقترح أن يضاف تصنيف ثالث لخانة النوع ليكون هناك ذكر وأنثى ومزة.. هذا غير محمود عبدالعاطي حسن الذي يقا تل لإثبات أنه حي في حين لا تصدقه الموظفة المختصة وتصدق شاشة الكمبيوتر التي تفيد أنه قد توفي في غزوة أحد.. وعرف «بلال» أن لعنة الكمبيوتر لم تصبه وحده.. أكمل طريقه نحو مكتب الشؤون القانونية ليقابل المدير الذي استمع إلى شكواه بصبر وتأن غريبين ثم قام بتوجيهه:

بص يا بيه.. موضوعك دا مع الأستاذ أحمد السيد* هو اللي هايحل لك القصة كلها.

*الاسم حقيقي.

أحمد السيد دا ألاقيه فين؟

المكتب اللي جاي يمين في يمين ورا الأرشيف.

وصل «بلال» إلى المكتب المنشود فوجده يغص بالسيدات البدينات كعادة أي مصلحة حكومية، لم يكن صعبا عليه تمييز الأستاذ أحمد من وسطهن فهو الرجل الوحيد في المكتب.

صباح الخير.

صباح النور.

نعم؟!!

إيه يا أستاذ.. بقولك صباح النور.. أوامر.

أصل أول مرة حد يرد عليا الصباح.. أنا اتقاءلت بوشك الحلو.

خير يا بيه.. إيه الموضوع.

قص عليه «بلال» قصته من أولها لآخرها واستمع إليه أحمد السيد بمنتهى الاهتمام وسط رشقات من كوب شاي ثقيل ثم هز رأسه متفهما وقال:

بص.. الحل إنك تخلصها إداري.

إزاي؟

هتاخذ جواب تحريات من المباحث للقسم اللي إنت تابع ليه.. يجيبولنا تحريات إن مفيش «جلال» وإن الوحيد المقيد في الدائرة اسمه «بلال».. دي الخطوة الأولى.

طب وبعد كده؟

نخلص دي الأول وبعدين نشوف.

طيب آخذ جواب التحريات منين؟

من ضابط المباحث في الدور اللي تحت.

شكرا يا أستاذ أحمد.

نزل «بلال» مسرعا إلى ضابط المباحث بعد أن ظهرت بارقة أمل جديدة.. طرق الباب ليسمع بعض الهمهمات وسط نوبة من السعال الشديد فقرر أنها تعني السماح بالدخول ودلف إلى المكتب ليجد ضابط المباحث يسعل وكأنه سيلفظ روحه، فهرع إليه مسرعا ليربت على كتفيه فزاد احتقان وجه الضابط.. وأخذ يسعل في قوة أكبر فأخذ «بلال» يبسمل ويحوقل حوله:

بسم الله الرحمن الرحيم.. عين وصابتك يا حضرة الطابط.. من شر حاسد إذا حسد.

فقط ليحمر وجه الضابط كثرة الكريز – غير أنه من الصعب تشبيه وجه ضابط شرطة بالكريز –
فناوله «بلال» كوبا من الماء كان موضوعا على المكتب ليشيح الضابط بيده فينكسر الكوب
وينسكب الماء على المكتب، ويواصل الضابط السعال وكأنه في مسابقة أولمبية لأطول سعدة في
التاريخ حتى خشي «بلال» على الضابط أن يفقد حياته جراء السعال المتواصل فوقف خلفه وناولته
خبطين بقبضة يده في منتصف ظهره تماما فهدأ السعال فوراً واستعاد الضابط رويته وهدوءه فقط
لجزء من خمسة ملايين جزء من الثانية قبل أن يصرخ في وجه «بلال»:

أنت مين، ودخلت هنا إزاي، وإيه اللي انت عملته دا؟!!

أنا يا فندم كنت عايز آ...

كنت عايز تموتني.. بتسقينني ميه وأنا باكح.. أنا إيش عرفني الميه دي فيها سم هاري ولا بلا
أزرق؟

يا فندم الميه دي كانت على المكتب مجبتهاش من بيتنا.

تابع الضابط كأن لم يسمعه:

ولما مانفعتش حكاية المية المسمومة كسرت الكوباية عشان تعورني بالقزاز المكسور.

يا باشا أعورك إيه بس.. دا أنا اللي أنقذتك من الكحة لما خبطتك على ضهرك.

أهو دا يعتبر اعتداء على موظف أثناء تأدية عمله.. دي لوحدها تحبسك مؤبد ست أشهر. أنت
مين زقك عليا يالا؟ أبو دومة ولا أبو شومة ولا البت سعاد بتاعت ألسن؟

هو أنت عايز تحبسني وخلص.. طيب ما اعترف لك إن أنا اللي عامل للأرض احتباس حراري
ونخلص.

لا أنت عايزني ألق لك تهمة زور.. أعوذ بالله.

محدث هايعرف إنها زور.. لفق يا باشا خليني أخلص من القرف اللي أنا فيه.

لا، يا خفيف مفقوسة طبعاً إنها تلفيقة.. لأنني لسه قابض عالواد بتاع الاحتباس الحراري الأسبوع
اللي فات.. واعترف.

أنا بقى شريكه.

أنت إيه حكايتك؟ عايز تتحبس ليه.. وراك إيه يلا؟

شعر «بلال» أنه شهرزاد يقص قصة ألف ليلة وليلة وهو يعيد قصته على ضابط المباحث الذي
طالع الأوراق بكل اهتمام وسط دخان سيجارته الكثيف ثم قال:

طبعاً في «جلال».. الحسّ الأمني بيقول لي كده.
طبعاً يا باشا.. أمّال مفيش.. أنا عايزك بقى تطلب تحريات القسم اللي أنا تابع له عشان تثبت إن
في «جلال» وإن أنا مزور واتحبس بقى وأخد جزائي.
آه.. إذا كان كده عنيا الاتنين.. دا أنا هاخرب بيتك.
يبقى كتر خيرك.
والتحريات هاتجي لي وهاتسجن.
الحبس للجدعان يا باشا.
وأهو طالما مفيش احتباس حراري يبقى أي احتباس وخلاص.. هاتحبس يالا.
طيب بس حضرتك خلص لي الجواب على طول عشان ماتأخرش على الحبس.

من عنيا.

أخذ ضابط المباحث يكتب خطابا مفصلا للتحريات بقسم الشرطة التابع له سكن «بلال» وأمعن في ذكر التفاصيل اعتقادا منه أنه يلف الكلابشات حول معصمي «بلال».. ثم سلم له الخطاب ممهورا بتوقيعه.

اختمه بقي من الصول بره واطلع على القسم بتاعك على طول.

شكرا يا فندم.. ربنا ما يحرمك من الافترا أبدا.

على إيه بس.. يا بخت من قدر وقسي.

انصرف «بلال» من مكتب الضابط حامدا ربه على نعمة الخطاب، وأخذ يبحث عن الصول الذي سوف يختم الخطاب حتى وجده فقدم إليه الخطاب.. نظر إليه الصول نظرة خاوية متسائلا:

نعم؟

ختم.

مفيش.

يعني إيه مفيش.. ما الضابط مضى وقال لي فاضل الختم.

الكلام دا كان من خمس دقائق.

وإيه اللي حصل في الخمس دقائق.. صلاحية الإمضاء خلصت.. الجواب جِمض؟!!

لا يا خفيف.. ساعات العمل الرسمية انتهت.

يعني إيه.. الختم روح؟ راح يجيب الأختام الصغيرة من الحضانة.. ما الختم موجود وحضرتك موجود.

دا صحيح.. بس انت عايزني أختم لك بعد الساعة تلاتة.. دي مسئولية.

معلش الختم مش هايشتكى والمصحف إنك شغلته بعد ساعات العمل الرسمية.

ماقدرش.. أروح في داهية.. وانت مايرضيكش.

يعني انت يرضيك أرجع المشوار دا كله عشان أختم الورقة.

القانون كده يا أستاذ.. وبعدين تزعلوا إن القانون مش بيتطبق.

لا، ونعم القانون.. نظر بلال حوله وقال بلهجة ذات مغزي : طيب لو عايزين نطبق القانون دا دلوقتي ونحطه في جيبنا ونختم الجواب وأنا عنيا ليك.. نعمل إيه؟

أهو كده فتح عينك تاكل ملبن.. فين الجواب؟

ادخل يا بيه.. هتلاقيه جوة بس حاسب من التراب والغفرة.
دلف «بلال» إلى القسم باحثا عن ضابط المباحث ليجد مئات العمال الذين يعملون بمنتهى الجدية
والسرعة وسط أكوام من الركام والتراب والرمال.. ووجد المأمور واقفا وسطهم صارخا فيهم:
القسم عايز أسئلته بكرة سوبر لو كس.. على المفتاح.
قال أحد العمال ساخطا:
يا باشا دا بنك التعمير والإسكان ببسلم بعد 3 سنين.
انفجر فيه المأمور:
اخرس.. لما اقول بكرة الصبح يبقى بكرة الصبح.. خدوه عالجز.
الجز لسه ماتشطبش.
لا احنا عندنا هو الجز كده.. 1/2 تشطيب وبيفضل كده إذا كان عاجبك.. خده يا عسكري.
ظهر عسكري فجأة وجر العامل المسكين على الجز، وهنا لاحظ المأمور وجود «بلال»
فبادره:

أنت جيت؟

أنا؟

أيوة إنت.. كنت فين؟

لسه جاي من الزيتون حضرتك.

جبت الحاجة؟

أخرج «بلال» الأوراق مشيرا بها للمأمور:

أيوة يا فندم جبت كل حاجة.

كل حاجة إيه؟ مش شايف جيس في إيدك يعني؟

تحسس «بلال» جسده قائلا:

لا ربنا ميحبش جيس ولا حاجة.. أنا دراعي سليم الحمد لله.

وهاتعمل الشغل ازاي من غير جيس؟

لا، حضرتك الموضوع مش محتاج عنف.. لما أقابل رئيس المباحث هاقول له على المطلوب

وهو إن شاء الله يعمل.

رئيس المباحث هو اللي هايعمل الشغل؟

أقتحم إيه بس يا باشا.. أنا أصلي عايز ضابط المباحث في مسأل...
أنت هاتحكي لي قصة حياتك.. اتفضل من قدامي.
اتجه «بلال» إلى حيث يقبع ضابط المباحث في غرفة على الطوب الأحمر بها مكتب واحد وما
أن رآه حتى هتف:

إنت جيت.. بقى لي ساعة مستنيك.

الباشا المأمور بس كان فاكرني بتاع الكرانيش.

ههههه.. يعني الجواب ببيان من عنوانه.. شكلك باين قوي إنك مش بتاع كرانيش.

ربنا يكرمك يا فندم.

أشار الضابط إلى جهاز كمبيوتر أمامه:

بص بقى.. الشاشة بتاعت الكمبيوتر دي مش لاقطة أي حاجة وعلى طول سودا زي ما أنت
شايف.

أيقن «بلال» أن الضابط يظنه مهندس كمبيوتر.. لا بأس.. نظر سريعا ليجد الكابل الخاص
بكهرباء الشاشة غير متصل بمصدر كهرباء، أخذ يعيثر في أزرار الشاشة ثم قام بتوصيل الكهرباء
فأضاءت.

الله ينور عليك يا باشمهندس.

دي حاجة بسيطة يا فندم.. أنا كان ليا عند حضرتك طلب.

خير؟

قص عليه «بلال» القصة من البداية إلى النهاية.. فكر ضابط المباحث قليلا ثم قال:

من عنيا.. تجيلي بكرة الصبح يكون شيخ الحارة موجود ويعملهاك.

شيخ الحارة.. حارة إيه يا فندم؟ أنا ساكن هنا في مدينة نصر.

أيوة عارف.. هو اسمه كده.

شيخ الحارة؟ في القرن الـ 21.

وفي القرن الـ 51 شيخ الحارة هايفضل موجود.. النظام نظام.. اتفضل يا أستاذ.

في المساء وعلى المقهى كالمعتاد كان «بلال» يحكي لـ «عادل» آخر أخبار موضوع أخيه
المزعوم.

هو قال لك كده.. شيخ الحارة!

أبوة والله.

كده يا باشا فيلم التوت والنبوت.. بكرة تروح القسم لابس لاسة وجلابية وأنا هاجبيلك نبوت من واحد صاحبي في فرقة الفنون الشعبية.

يا عم أنت بتهزر.

يعني كلامي أنا هزار.. وشيخ الحارة دا بجد؟

آه والله بجد.

لا أنا هاجي معاك بكرة أشوف شيخ الحارة دا وأتصور معاه سيلفي.

في صباح اليوم التالي اتجه الصديقان إلى قسم الشرطة وبادرا بالسؤال عن شيخ الحارة فأشار العسكري إلى شخص ذي شارب يرتدي جاكيت جلد ويضع نظارة شمسية رخيصة الصنع.. بدا من هيئته أنه أمين شرطة كما هو مذكور بالضبط في كتاب «كيف تكون أمين الشرطة»، كان الرجل يحتسي كوبا من الشاي مع سيجارة تحت أشعة الشمس مستمتعا بما يفعله وكأنه على شيزلونج في هاسياندا.. قال العسكري:

الأمين علي.

لا، حضرتك دا أمين شرطة إحنا عايزين شيخ الحارة.

ما هو الأمين علي هو شيخ الحارة.

شيخ إيه يا عم؟ في شيخ بلبس جاكيت جلد وجينز؟

هو الأمين علي ومتوجعوش دماغي.

اتجه الصديقان نحو الشخص بتردد وألقيا التحية عليه:

صباح الخير.

نفث الأمين دخانه نحوهما بصمت ولم يجب.

حزرتك الحاج شيخ الحارة؟

أجاب دون أن ينظر إليهما وهو هائم في الملكوت:

أبوة.

معلش هانعطل حضرتك عن السيجارة والجاكت الجلد شوية.

سألهم الأمين علي باهتمام حقيقي وهو يمسك طرفي الجاكت بيديه:

حلو الجاكت؟

يجنن.. تحفة.. بعد إذنك كان ليا طلب تحريات من مباحث الزيتون وكنت عايز حضرتك تشوفه.
خير بخصوص إيه؟ سرقت حاجة؟ بتغير عنوانك؟ مقدم على بطاقة تموين؟ عليك قضية نفقة؟
لا والله ولا حاجة من دول.. أنا بس عايز حضرتك تتحرى إن مفيش حد اسمه «جلال» وإن هو
«بلال» بس اللي موجود.

مش فاهم حاجة.

قص عليه «بلال» أسطورة جلال وبلال والزمان وبدا على شيخ الحارة الاهتمام الحقيقي بالأمر.
مممم انت قلت لي الجاكت حلو؟

تحفة يا سيادة الأمين.. في منتهى الشياكة.. حضرتك عرفت الموضوع؟
أيوة.. عذاب الروتين.. عادي.. عشان يعرفوا ان الكمبيوتر والسيستين والكلام دا مايغنيش عن
البنى آدم.

دا خصوصاً بقى إذا كان البنى آدم دا عنده جاكت زي بتاعك دا.

بجد حلو الجاكت؟

والمصحف يهبل.

طيب بص يا سيدي.. أنت هاتجيب لي وصل كهرباء من العنوان المثبت في بطاقة الرقم القومي،
وهاتصور لي الرقم القومي بتاع الوالد والوالدة.. والرقم القومي بتاع اتنين شهود من جيرانكم.
عنيا الاتنين.. نص ساعة ويبقوا عندك.

طار «بلال» و«عادل» تجاه محل إقامته ليأتيا بالمطلوب وعادا ليجدا أمين / شيخ حارة الشرطة
جالسا في مكتبه الصغير الذي لا يتسع للمكتب والأمين معا إلا بمعجزة شرطية، وقد خلع الجاكت
وعلقه على مسمار في الحائط.

سيادة الأمين.. آدي صور البطايق والمطلوب كله.

أخذ الأمين يراجع الأوراق ثم مط شفتيه في امتعاض:

لا أنا عايز صورة بطايق الوالد والوالدة في صفحة واحدة.

مهو حضرتك مقلتش.

لا قلت بس انت إالى كنت مركز في الجاكت ومسمعتيش.

حاضر يا سيدي.

عاد «بلال» ليصور البطاقات بالشكل المطلوب ثم رجع للأمين فوجده يتحدث في التلفون.

أيوة يا باشا.. تمام يا باشا.. لا حضرتك استتى هاكتب ورا سعادتك.. أيوة..
أخرج الأمين ورقة وقلما وأخذ يكتب وراء محدثه أكثر من 10 صفحات، استغرقت ما يقرب من
ساعة كاملة، حتى اقتربت المكالمة من نهايتها.

أوامر يا باشا.. أوامر.. في رعاية الله.
ثم انتبه إلى «بلال» الذي بدا عليه فراغ الصبر.
معلش دا الباشا الكبير بتاعنا.. ها.. حلو الجاكت؟.. آآآ.. قصدي عملت الورق؟.
رد «بلال» بغیظ مقدا له الأوراق:

أيوة.. اتفضل.
نظر الأمين للأوراق بعدم رضا وقال ناهرا:
مين بس اللي قال لك تعمل كده.. أنا عايزهم صحيح في صفحة واحدة بس فوق بعض مش جنب
بعض.

وهاتفق إيه بس يا سيدنا الشيخ ما هي هي.
لا مش هي هي.. ومش هاتعرفني شغلي.. اتفضل بقى اعمل اللي طلبته لحد ما اطلع للباشا
وأنزل.

ظل «بلال» في زيارات مكوكية بين المنزل ومكتب شيخ الحارة أبو جاكيت نايلون حتى انتهى
من كل الطلبات الغربية التي طلبها الشيخ والتي تضمنت إقرارات مكتوبة من والده ووالدته بعدم
وجود ابن يدعي «جلال»، واستمارات تعارف للشهود، وفيش وتشبيه حتى خيل له أنه سيطلب منه
صورا فوتوغرافية بزواية 45 في ضوء القمر ماسكا قيثارة.

تمام كده.. الورق جاهز.. سيبي بقى أعمل تحرياتي وعدي عليا كمان أسبوع.
كثير أسبوع مش ممكن يبقى أقل.
مش ممكن.. دي إجراءات يا أستاذ.

معلش والله أصلي مقدم في وظيفة وهاتروح عليا.. وحياة أغلى ما عندك.. وحياة الجاكت دا
ياشيخ تخلصني بسرعة.

بس لو مكنتش حلفتني بالغالي.. خلاص.. 3 أيام وتسلم النتيجة.

قضى «بلال» الأيام الثلاثة في ترقب شديد.. متخيلا أن كل من يقابله أو يدق بابه هو مخبر يقوم
بالتحري عنه.. كانت البداية مع عامل الديليفري الذي دق جرس الباب فهرع «بلال» ليفتح، ولاحظ

براحتك.

مرت نحو نصف ساعة حتى انتهى الأمين من الكتابة وراء الباشا الكبير وطلب ورقتي إجابة
إضافيتين ثم استدار لبلال:

معلش آخرناك.

لا ولا يهملك.. إيه الأخبار؟

مبروك يا سيدي.. كل التحريات أثبتت إن مفيش «جلال» واللي موجود هو «بلال» بس.

يا فرج الله.. طب ماتيجي معايا لمدام عفاف تقول لها الكلام دا أبوس إيدك.

مدام عفاف مين؟

لا دا موضوع قديم كده.

لا قديم إيه.. قل لي.. حلوة مدام عفاف دي؟

يا باشا دا الجاكت بتاعك أحلي منها.. ألا هو فين صحيح مش شايفه في المكتب.. هو كويس؟
طمني عليه.

لا سايبه في البيت النهاردة.

انا افنكرته راح يشوف جواكت قرابيه.. المهم ممكن آخذ ورقة بنتيجة التحريات.

آه طبعا.. بسيطة.. حضرتك هاتصور بطاقة الوالد والوالدة وش وضهر.. و...

قاطعته «بلال»:

وعايزهم جنب بعض ولا بالعرض ولا بالورب؟

لالا مش هاتفرق المرة دي.. وتصور بطاقتك وتقدم طلب لضابط المباحث وتمضيه منه ومن

البيه المأمور، وتيجي تاخذ الورقة وتختمها وخلص.

بسيطة فعلا!

اتبع «بلال» تعليمات شيخ الحارة بدقة حتى انتهت واستلم الورقة ممهورة بشعار الجمهورية..

النسر الأزرق الفخيم ضامًا جناحيه ومطأطنًا رأسه في رفق وكأنه يرثي لحال المواطن الذي تعذب

عذابا يفوق عذاب كفار قريش للمسلمين الأوائل من أجل الحصول عليه..

غادر «بلال» القسم وطار نحو مصلحة الأحوال المدنية بالزيتون واتجه مباشرة نحو مكتب

الأستاذ أحمد السيد فلم يجده على مكتبه.. بل ولم يجد مكتبه.. كانت الطرقات خالية تماما من

الموظفين والمواطنين والعساكر.. خواء وكأنه في خزينة بطولات نادي الزمالك.. هبط للدور الأرضي ليسأل الحارس:

هو فين موظفين السجل المدني.. اترفدوا كلهم ولا إيه؟

لا عقبال عندك انتقلوا الأميرية.

عقبال عندي.. انتقلوا!!!!!! وفين الأميرية دي؟

في الأميرية.. حد ميعرفش الأميرية؟

أخذ «بلال» يسأل ويأخذ الوصفات للطريق من كل المارة حتى نجح –بمعجزة إلهية– من الوصول للمبنى الجديد للأحوال المدنية.. سأل عن الشئون القانونية وسره أن رأى وجه الأستاذ أحمد السيد فانطلق نحوه كطفل يجري نحو والدته بعد انتهاء اليوم الدراسي.. في حين أن الموظف المذكور لم يبد عليه أنه يذكر موضوعه أو يذكره من الأساس.. إلا أن بضع كلمات نجحت في إنعاش ذاكرته سريعا:

ها.. خلصت التحريات؟

الحمد لله.. أدي ورقة رسمية مختومة بختم حضرة النسر شخصيا وبنقول إن مفيش حد اسمه جلال.

عظيم.. هایل.. هاتنزل تجيب نموذج 74 وتكتب الطلب وتحط الدمغة وترفق كل الأوراق الخاصة بالقضية.. وتجي لي على طول.

ظل «بلال» يسعى بين صفا الدور الخامس ومروة الدور الأرضي سبعة عشر شوطا بحثا عن الاستمارة تارة وعن الموظف الذي ذهب للوضوء لصلاة الظهر قبل الصلاة بساعتين تارة، وعن العاملة التي تحتكر بيع طوابع الدمغة بالمصلحة رغم قانون منع الاحتكار، والبحث عن فكة، والبحث عن عامل الخزانة الذي ذهب لتناول الإفطار على عربة الفول المتاخمة للمصلحة.. في كل هذه المراحل تذكر «بلال» فيلم «الإرهاب والكباب» وأشار لنفسه أنه لا يوجد إرهاب أكثر من التسبب في المصالح الحكومية.. وأتبع هذا التفكير بالدعاء للدولة ونظامها القائم بكل الخير لحرصهم على التأكد من خدمة المواطنين خدمة متميزة وهي خدمة «التكفير عن الذنوب»، التي قد يتم اختصارها أحيانا إلى خدمة «التكفير» فقط من فرط الروتين والإهمال واللامبالاة.. ولأن لكل شيء نهاية فقد أنهى «بلال» الإجراءات أخيرا بعد عدة مداولات ومناقشات جدلية كانت أهمها مع موظفة بيع الاستمارات والتي كان لديها مشكلة عقائدية مع فيثاغورس، حيث يؤمن فيثاغورس أن $2 + 2 = 4$ في حين تؤمن الموظفة أنه إذا كان ثمن الاستمارة 2 جنيه فثمن الاستمارتين هو خمسة جنيهات..

وبرهنت على ذلك بالدليل الفعلي إذ امتنعت عن رد الجنيه الخامس لبلال لتثبت نظريتها بشكل علمي ممنهج.. ففي حين يمكن إثبات النظريات العلمية بالمقارنة أو بالمنطق أو بالاستدلال أو بالاستبعاد أو بالاستنباط.. اتبعت الموظفة منهاجاً جديداً في إثبات نظريتها وهو الإثبات بالاستعباط.

المهم حين عاد «بلال» للأستاذ أحمد السيد كان يتصبب غضبا وعرقا وإحباطا.. فما كان من الأستاذ أحمد إلا أنه رثى لحاله ودعا للجلوس بل وطلب له شايًا كي يهدئه قليلا، ثم أخذ منه الأوراق كافة ودعا للحضور للمصلحة بعد أربعة أيام في تمام السابعة صباحا للذهاب إلى لجنة الأحوال المدنية في محكمة زينهم.

عاد «بلال» لبيته منهكا مرهقا خائر القوى محطم الأعصاب ليجد مظروفاً أصفر كئيب اللون والمنظر ينتظره على السفارة.. أمسكه «بلال» بحذر بين السبابة والإبهام وكأنه يمسك فأرا من ذيله وهو يسأل والدته:

إيه دا يا ماما؟

مش عارفة.. دا جواب جالك الصبح.

ربنا يستر.

فض «بلال» المظروف ليجد أسوأ كوابيسه يتحقق أمامه.. فهناك وداخل المظروف كان يقبع استدعاء للتجنيد.

تخيل يا «عادل».. أنا.. بعد دا كله يجي لي استدعاء للجيش.. أقول لهم أنا وحيد.. يقولوا لي لأ فيه «جلال».. أقول لهم مفيش «جلال».. يقولوا لي لأ فيه.. أقول لهم طب خدوه هو.. يقولوا لي ما إحنا مش عارفين نجيبه هاته أنت واحنا ندخله مكانك.. أقولهم وأجيبه إزاي وهو مش موجود أصلا.. يقولوا لي خلاص تدخل إنت الجيش لحد ما يظهر.. أدخل الجيش إزاي وأنا وحيد.. يقولوا لي مالناش فيه الورق بيقول إن لك أخ.. توأم.. «جلال».. الله يحرق «جلال» وسنين «جلال».

كده يا معلم دا فيلم عبود على الحدود.. وهاتروح الصاعقة وتقابل غادة عادل.. أمانة تبقى تسلم لي عليها والنبي يا «بلال».

يا عم أنا ناقصك.. شوف لي حل.

الحل بكرة بقى مع اللجنة إن شاء الله تتصفك.

اتجه «بلال» إلى مقر المصلحة في الأميرية في تمام السابعة صباحا متوقعا أن يتأخر الأستاذ أحمد عن مواعده.. فلا يوجد في القاهرة الكبرى كلها موظف يبدأ عمله في السابعة.. إلا أن ظنه قد

خاب حين وجد الأستاذ أحمد يخرج من باب المصلحة حاملا عددا كبيرا من الملفات ودلف إلى سيارة «بلال» واطع الملفات على الكنبة الخلفية.

صباح الخير يا أستاذ أحمد.. دا إيه الملفات دي كلها؟

مشاكل.. ناس ليها مشاكل زي حضرتك كده.

استعنا على الشقاء بالله.

اتجه «بلال» إلى منطقة زينهم وأخذ الأستاذ أحمد الملفات واتجه إلى المحكمة وغاب نحو ساعة من الزمن أو يزيد ثم عاد حاملا نفس الملفات وعلى وجهه ابتسامة رضا.

خير يا أستاذ أحمد.. طمني.

خير إن شاء الله.. اطع على الأميرية بقى.

عاد «بلال» إلى الأميرية والأستاذ أحمد منهمك في عدة أحاديث تليفونية فلم تسنح له الفرصة ليسأله عما تم.. حين وصلا إلى مقر المصلحة اتبعه «بلال» إلى مكتبه فأخرج له الأستاذ أحمد ملف قضيته.

مبروك يا أستاذ «بلال».. القاضي وافق ودا قرار موجه للأحوال المدنية بإلغاء «جلال» من الكمبيوتر.

نظر «بلال» إلى الورقة زاهلا غير مصدق لانتهاه هذا الكابوس الذي جثم على أنفاسه طوال الفترة الماضية.

يعني كده....

كده خلاص حضرتك تطلع على السجل المدني هايشيلوا الاسم وتسلم قيد العائلة مفيهوش جلال.

ربنا يخليك يا أستاذ أحمد ويكرمك.. طيب أي خدمة مني.. مش عايز أي حاجة؟

سلامتك يا أستاذ.. أنا معملتش غير شغلي.

يااااه يا أستاذ أحمد.. لو كل الناس تبقى زيك.. وخصوصا مدام عفاف.

مين مدام عفاف؟

لا متاخدش في بالك.. أنا هافضل أدعي لك على اللي انت عملته معايا دا.

بالفعل توجه «بلال» بقرار القاضي نحو مصلحة الأحوال المدنية بالعباسية ولوّح به لمدير الشؤون القانونية الذي أسقط في يده وظهرت عليه خيبة الأمل الشديدة بحل مشكلة أحد المواطنين وقال في يأس:

أنا -للأسف- مضطر أحترم أحكام القضاء.. مع إني مش مقتنع.. ولا مصدق.. بس أعمل إيه؟
حضرتك تنفذ الحكم وتشيل «جلال» من الكمبيوتر.

للأسف مش من عندي.

أمال عند مين؟

إنت لسه ما حفظتتش؟ عند مدام عفاف.

اتجه «بلال» لمدام عفاف مشفوعا بتعليمات المدير والحكم القضائي، فتسلمت منه الحكم القضائي
ثم قالت:

أنا هاعمل لك الإجراءات.. بس اللي معاها الباسوورد بتاعت الكمبيوتر هي مدام منى.

وهي فين مدام منى؟

مش اتحرقت! حلة الشوربة وقعت على رجلها واتحرقت بعيد عنك.. وواحدة أجازة مرضي..
تعالى لها بعد ثلاث أسابيع.

نعم ياختي.. ثلاث أسابيع.. وفيين القائم بالعمل؟

مفيش.

طيب كلميها خدي منها الباسوورد.

مينفعش تنقل في التليفون.. حد كده ولا كده يسمعها ويبوط الدنيا.

أبوة صح.. قال يعني هي مش بايطة.. يعني مصالح الناس تتعطل عشان أم رجل مسلوخة.

دول ثلاث أسابيع بس ميجراش حاجة.

يا عالم إيه البرود دا.. ثلاث أسابيع دول ممكن يفرقوا في مستقبل واحد.. وانتم على قلبكم
مراوح؟

اصبر يا أستاذ الدنيا مطارتتش.. وبعدين الست عيانة مش بتتدلع.

طيب إيه رأيك نروح لها البيت وناخد معانا تورتة وبأربعتاشر جنيه كيناكومب ونجيب منها

الباسوورد ونرجع؟

برضه مينفعش.

صاح «بلال» في ثورة عارمة:

طيب بصي.. هاتي الورق.. مش عايز أشيل الاسم.. أنا هاشتكيكم في النيابة الإدارية ورئاسة

الوزراء والقضاء والإعلام.. أنا مش هاسكت وهاوريكم كلكم.

تجمع حوله الموظفون يحاولون تهدئته:

مالك بس يا أستاذ متعصب ليه؟

حكى لهم «بلال» الموضوع من أوله لآخره.

وبتقول لي أستنى ثلاث أسابيع وآخر يوم للوظيفة بكرة والموافقات كلها جاهزة.. مش فاضل غير إن حد يفتح الكمبيوتر ويلغي الزفت «جلال».. وخلص.

قال أحد الموظفين:

متخلصيها له يا مدام عفاف ميجر اش حاجة.

معلش يا مدام عفاف خليها عليكي.

قالت عفاف في تمنع:

يا جماعة كل واحد ليه اختصاصاته.. هي مسئولة الباسورد..

مسئولة الباسورد!!

أبوة يا أستاذ.. فيه واحدة مسئولة عن الباسورد.. وواحدة مسئولة عن الكي بورد.. وواحدة مسئولة عن الناوس.

اسمه الماوس.

ما علينا.. مقدرش أتعدى على اختصاصها.

قال الموظف الذي توسط لفعل الخير:

معلش يا مدام عفاف لما تيجي هانبقى نفهمها وهي مش هاتزعل ولا حاجة.

مع إنني مبحبش أعمل كده.. بس أمري لله.. عشان خاطركم.

قامت عفاف بالجلوس أمام الشاشة واللعب على أزرار الحاسب الآلي لعدة دقائق ثم قالت:

مبروك يا أستاذ الموضوع خلص.

الحمد لله.

تابعت عفاف:

شلنا لك «بلال» خالص من السجلات.. انتهى.. من النهاردة مفيش «بلال».

صعق بلال وصرخ:

إيه؟ الله يخرب بيتك.. الحكم بيقول تشيلي «جلال» مش «بلال».

يوه مخدتش بالي.. معلش النظر على قدي بقي.

طيب صلحها بسرعة.

ما اقدرش أصلحها لازم أمر قضائي تاني بتعديل الاسم اللي تم حذفه.. دا قانون يا أستاذ مش أي كلام.

أمسك «بلال» برقبته في عنف وغل.

أنا هاوريك القانون هايعمل إيه.

قالت بصوت مختق:

اعقل يا أستاذ.. الحقوني.. هايموتني.. سييني لاوديك في داهية.

إنتي خلتي فيا عقل.. عارفة لو قتلتك دلوقتي.. مش هايحصل حاجة.. لأنني مبقتش موجود.. وانت كمان مش هاتبقي موجودة..

اندفع الموظفون لتخليص عفاف من يد «بلال».. ونجحوا بالفعل في استنقاذها من بين يديه قبل أن يقضي عليها، فيما لم ينجح «بلال» في التخلص من «جلال» حتى هذه اللحظة.

* امسك حر امي.. امسكه انت *

* شكر خاص للدكتور هـ/ أمال إمام لدورها المحوري في هذه القصة.

* قصة - أيضًا - حقيقية.

كده يا فندم شحنا باقة الخمسة وسبعين جنيه .. أستأذنك في واحد وتمانين جنيه تكلفة الباقة ..
عجيب نظام شركتكم دا .. ماتسموها باقة الواحد وتمانين وتخلصوا .. هو احنا ناقصين لخبطة ..
المهم الباقة تشتغل إمتى؟

حالا .. المفروض الرسالة وصلت لحضرتك يا فندم.

مفيش حاجة جت لي.

اتأكد حضرتك من الموبايل.

ما أنا واقف قدامك أهو ماسمعتش صوت الرسالة .. لو انت سمعتها قل لي.

يمكن السكة زحمة يا فندم .. الغايب حجته معاه .. هاهاهاهاه.

دا أنت مرح كمان .. آدي الموبايل أهو مفيش حاجة.

تحسست جيبي حيث الموطن الأصلي للموبايل وجرابه فلم أجد أيا منهما .. أخذت أتحسس جيوبي
كلها كالمسوع فلم أجده أيضا .. نظرت في كل مكان في صالة انتظار العملاء بفرع شركة المحمول
ولكن لم يكن للمحمول - ولا حتى جرابه - أي أثر.

حضرتك متأكد إنه كان معاك لما دخلت؟

أمال يعني جاي أشحن باقة الموبايل وهو مش معايا يا أذكي إخوانك.

طب حاول تتصل بيه كده.

أتصل بيه إزاي يا عم العبوري!

هو حضرتك مش حافظ الرقم؟

لأ حافظه .. بس فين الموبايل اللي هاتكلم منه .. ولا أكلمه بالتخاطر؟

والله لو حضرتك مشترك في خدمة التخاطر ممكن تستخدمها.

لا انت مرح وأهيل كمان.

ليه يا فندم الغلط دا بس .. دا جزائي إني بحاول أساعد حضرتك.

أنا متأكد إنه كان معايا لأنني جالي مكاملة أول ما جيت و....

هنا تذكرت في فلاش باك كما يحدث في السينما ..

أنا حطيت الموبايل جنبي على الكنبه وأنا منتظر دوري .. ولما جه دوري الظاهر إني سيبته
وجيت على الشباك.

ذهبت لمكان الانتظار حيث كنت أجلس ولكن طبعا الموبايل كان قد تبخر.

معلش يا فندم بقى عوضك على الله.

عوضي على الله ايه يابني هو أنا وقع مني خمسة جنيه في سوبر ماركت.. دا موبايل.

الموبايل حضرتك سبته وحد تاني أخده.. خلاص هانعمل ايه يعني.. سلم أمرك لله.. قدر الله وما

شاء فعل.

دا ايه قوة الإيمان اللي نزلت عليك دي.. أنا معجب بصبرك على الابتلاء دا.

حضرتك لو فكرت تجيب موبايل غيره عندنا عرض ممتاز على تليفون جديد بكاميرا.

عروض.. أبوة عندك حق انا فعلا كنت بافكر في....

جاءتني فكرة فصرخت فيه فجأة:

فين كاميرات المراقبة؟!!

موجودة يا فندم.

افتح لي الكاميرات نشوف مين اللي سرق التليفون.

يا فندم ماقدرش أفتح لحضرتك الكاميرات.

ليه الكاميرات قاعدة من غير إسدال؟

لا يا فندم.. بس كلمة السر بتاعت البرنامج مش معايا.

أمال مع مين؟

مع مدير الفرع ومش موجود دلوقتي.

تقمصت شخصية عبده المجنون وأخذت أصرخ بأعلى صوت وانا أعلم تماما أن هذه الطريقة

ستؤتي ثمارها:

أنا مش ماشي من هنا ومفيش عميل هايدخل على الشباك دا غير لما الكاميرات تتفتح.. هاقول

لكل العملاء دول إني اتسرقت هنا وانكم متواطئين ومش عايزين تفتحوا الكاميرات ومتسترين على

الحرامي ومسرحين حرامية في الفرع تسرق العملاء وهافضحكم على فيسبوك و....

كما توقعت تكهرب الجو وتوتر الحاضرون ووجدت أحد الموظفين يبدو أنه أكبر رتبة من

موظف الشباك يقترب مني ويسأل:

خير بس يا فندم حضرتك بتزق عليه؟

قصصت عليه الموضوع باختصار وكان أكثر تفهما للموقف فدعاني لمكتبه وعرض أن يتصل بمدير الفرع لأخذ كلمة السر منه وفتح البرنامج والاطلاع على الكاميرات على مسؤوليته الشخصية فقط ليؤكد على تعاون فرع الشركة مع العميل.. ووعد أن يتم ذلك في سرعة البرق.. وقد كان.. وفي خلال أقل من خمسة وأربعين دقيقة من الاتصالات والشرح للسيد مدير الفرع تم الحصول على كلمة السر منه وفتح البرنامج - كانت هذه هي المرة الأولى التي أتعرف فيها على سرعة البرق المصري «خمسة وأربعين دقيقة» والتي يبدو أنها ترتبط بسرعة باقات الأنترنت في مصر - وكما يحدث في السينما بالضبط أخذنا نقدم ونؤخر في شريط التسجيلات حتى وصلنا للحظة الفارقة التي دخلت فيها إلى الفرع، ووضعت المحمول بجواري على الكنب في منطقة الانتظار.. ثم.. ثم جاء الجاني وجلس بجواري.. تذكرته وقتها لأنه لا يمكن نسيانه.. رجل يبدو على ملامحه وملابسه أنه غريب عن البلد.. طويل القامة إلى حد لا يمكن تجاهله وكانت معه زوجته.. جاءا وجلسا بجواري وأذكر أنني حاولت تسلية نفسي أثناء الانتظار بتخمين جنسيته من ملابسه ولهجته.. قمت -على شريط المراقبة- واختفيت من الكادر وهنا لاحظ الرجل وجود المحمول أخذ يختلس النظر إليه كعاشق ينظر لمحبوته.. كان يبتسم للموبايل عملا بمبدأ «نظرة فابتسامة».. ثم مد يده نحوه بتردد كعاشق ينوي اختلاس مسكة اليد الأولى.. كان في نظرتة فعلا شغف وعشق للموبايل، وبالنظر لوجه زوجته أدركت أنه يفتقد الكثير من المشاعر التي صارت «تدلوق منه» نحو أي شيء حتى لو كان جهاز محمول مسكين.. وفجأة، وفي لحظة واحدة انتقل المحمول إلى مثواه الحالي في جيبه.. والأكثر بجاجة أنه لم يغادر الفرع وإنما انتظر واتجه لشباك خدمة العملاء بعدها لينهي ما جاء من أجله ثم انصرف قبلي بكل هدوء وطمأنينة.. طبعاً في هذه الأثناء حاولنا الاتصال بالتليفون عشرات المرات لنجد أنه مغلق أو غير متاح كما تقول السيدة اللطيفة صاحبة الرسالة المسجلة.. توجهت مع الموظف المتعاون إلى مسئول خدمة العملاء الذي تعامل مع اللص لنسأل عن نوع الخدمة التي قام بها.. ليتبين لنا أنه كان يريد شراء خط لكن لم تتم الخدمة لأن الرجل ليس لديه إقامة رسمية في مصر.. وهنا انقطع الخيط الذي كان يمكن أن يقودني إليه.. شكرت الموظف المتعاون وخرجت من الفرع لا ألوي على شيء*.. حتى تبادرت إلى ذهني فكرة.. هناك مركز تسوق كبير لبيع وتصليح التليفونات المحمولة بالقرب من فرع شركة الاتصالات، وحيث إن الموبايل مغلق بكلمة سر فلا بد أنه سيذهب لأحد المحلات في المول لفك شفرته أو لبيعه أساساً.. هذا هو التفكير المنطقي.. اتجهت من فوري نحو المركز الضخم وأخذت أجول فيه محلاً محلاً وطريقة طريقة وزنجة زنجة.. وكلما رأيت أحداً يشبه الرجل إياه دخلت إلى المحل وتفحصته بنظري كمخبر سري مفضوح

الأمر لأكتشف أنه ليس اللص المنشود فأخرج من المحل متظاهرا بأنني قد نسيت شيئا ما بالخارج.. تمثيلية مفضوحة جدا ولكن لا يهم.. استغرقت جولتي حوالي ثلاث ساعات

*لا أعرف بالضبط معنى هذه الجملة.. ولا أعرف أصلا كيف «يلوي» أحدهم على شيء.

حتى أنهكت تماما وبالطبع لم أعثر للرجل على أي أثر .

عدت إلى داري بخفي حنين ولكن بدون المحمول، وأنا أفكر في كل ما كان على المحمول من بيانات وتليفونات وجهات اتصال خاصة بالعمل وأشياء لا يمكن استرجاعها مرة أخرى.. حكيت الموضوع لزوجتي التي حاولت -على مائدة السحور حيث كنا في أوائل أيام شهر رمضان- أن تهون عليّ الواقعة وتقترح حلولا لاسترجاع ما راح من بيانات، لم أكن في حالة تسمح لي بالتفكير فيما قالت ولم أجد في نفسي حتى الرغبة في الأكل فلم أبتلع غير لقيمات من الفول وثلاث بيضات مسلوقات وبعض الجبن الأبيض كل هذا مغمسا بأربعة أرغفة بلدي كبيرة.. ولم أشرب الشاي فقد أصابني فقدان الموبايل بسدّة نفس حقيقية.

في اليوم التالي توجهت إلى قسم الشرطة لتحرير محضر بالواقعة؛ إذ يمكن بعدها متابعة التليفون والاستدلال على من سرقه بعد أن يضع فيه شريحة أخرى كما يقول المنطق ومراجع قسم الاتصالات بكلية الهندسة، دخلت إلى القسم وتوجهت إلى أحد أمناء الشرطة المتواجدين في منطقة الاستقبال بالقسم والجالس مباشرة تحت لافتة «الشرطة والشعب في خدمة الوطن» فسألته أولا أين ذهب شعار «الشرطة في خدمة الشعب» فنظر لي نظرة فحواها: «أقول لك فين وماتزعلش».. فنفضت عن رأسي تلك الفكرة فليذهب الشعار إلى الجحيم أو إلى مارينا لا يهم.. قصصت عليه الموضوع فنظر لي نظرة ساخرة أخرى مفادها «لن تصل إلى أي شيء يا برنس»، هذا الرجل خبير في لغة العيون.. فنظرت له نظرة استعطف أن يحرر لي محضرا بالواقعة، فقال أخيرا.. ياه لقد شككت أنه يتكلم أساسا:

من عنيا يا بيه.. سيادتك بس هاتجيب لنا 10 ورقات فلوسكاب وقلم فرنساوي وورقتين كربون من المكتبة اللي جنب القسم.

ودا ليه بقى ان شاء الله.. هو كمان القسم بقى فيه سبلايز؟

عشان أكتب لك المحضر.. مفيش قلم.. هاكتب بصباعي! ومفيش ورق وماكينة التصوير عطلانة عشان كده طلبنا ورق كاربون.. اتفضل يا مواطن ماتعطنناش.

قال كلمة «مواطن» كأنها سبة لكني لم أبال وذهبت لشراء ما طلبه وعدت للقسم فقام مشكورا بتحرير المحضر وأعطاني رقمه، فسألته عما يلي ذلك من خطوات.

المحضر هايتحول للنياية.

حلو.

وكيل النيابة هايقدم طلب للنائب العام بمراقبة التليفون.

النائب العام شخصياً؟ جميل.

سيادة النائب العام هاياشر عليه بالحفظ.

حفظ ليه بقى؟

هو النائب العام هايفضى للبلاوي المتثلثة اللي في البلد ولا للسامسونج بتاعك؟

يعني المحضر دا كده ملوش أي لازمة.

هاقول لك.. بس الأول عايز أسأل حضرتك سؤال.

اتفضل.

تحسس رأسا صحراويا خاليا تماما من الشعر وقال:

حضرتك شكلك متعلم وبتقهم في حوارات المحمول.. أنا سمعت إن في أبليكيشن بيرجع الشعر

تاني باستخدام الذبذبات.. صحيح الكلام دا؟

آه.. بس لو كان شعرك دهني هاتحتاج تسأسأ زيت نباتي أو سمنة بلدي على راسك قبل ما تشغل

الأبليكيشن.

سأله أمين الشرطة بجدية:

والزيت دا ماييوظش الموبايل؟

لو كان موبايلك فنلندي تستخدم معاه سمنة هولندي مش هاييوظ.

لا دا أنا موبايلي صيني.. أحط زيت ايه بقى؟

حط أي هباب ان شالله تحط جبنة براميلي.. هو أنا ناقص مشاكلك وقرعتك.. خلصني.. المحضر

اللي عملناه دا آخرته ايه؟

قال بنشف:

صفيحة الزبالة في النيابة.. وابقى قابلني لو الموبايل رجع.

هايرجع.. شعرك هو اللي مش هايرجع يا بتاع الذبذبات.

تركته وتوجهت إلى مكتب ضابط المباحث وانتظرت حتى انتهى من شرب قهوته وسباب أم

الجندي الغلبان الذي قام بعمل القهوة ثم التقت إليّ متسائلاً.. حين قصصت عليه الموضوع قال:

شوف يا أفندي الرتبة المدنية للمواطن العادة.. اللي هو مش ظابط ولا قاضي ولا رجل أعمال،

إحنا مشغولين دلوقتي بمتابعة الخونة والعملاء على الفيسبوك والطويطر، ومعدناش وقت حتى

نتابع الأطفال اللي بتتخطف والعربيات اللي بتتسرق يبقى أكيد مش فاضيين نتابع سرقات المحمول،

ولا حتى باقي السرقات ولا أي بلاغ ولا حوادث ولا نيلة.. الله يحرق الثورجية أعداء الوطن بتوع الفيسبوك.

كان الله في العون يا فندم.

مانقوليش يا فندم أنا مابحش الألقاب.. قل لي يا باشا على طول من غير تكليف.

وعلى كده بقى شركة الاتصالات مظبطة باقة النت بتاعت القسم ولا زي عامة الشعب؟

دول ولاد *****.. آخر ما زهقنا جنبنا واحد فني من الشركة ومتحفظين عليه في الحجز تحت،

عشان لما النت يقطع يصلحه.

أيوة كده هو دا الشغل الصح، وأهو أسرع من المكالمات لخدمة العملاء وبتاع.

هانتابع الخونة على الفيس إزاي وإحنا النت عندنا مقطوع.. إحنا بنحل حلول جذرية يا أفندي.

ربنا يقويكم ويقوي سرعة النت بتاعتك يا باشا.. بس بالنسبة للموبايل يعني مافيش أي أمل؟

والله أبدا.. مش هاكذب عليك.. وبعدين يا أخي احمد ربنا انه اتسرق منك بهدوء كده من غير

دوشة.. زي شكة الدبوس، مش أحسن ما كان يطلع عليك حد يثبتك وياخده منك بالعافية، ومين

عارف جايز كنت قاومته وساعتها احتمال كبير كان يبقى معاه مطواة ولا سنجة ويغزك بيها، لا قدر

الله تنزف.. والإسعاف تتأخر عليك -عشان الدنيا زحمة- وتروح المستشفى متلاقيش سرير،

وحالتك تتدهور -لأنني نسيت أقولك إن المطواة كانت ملوثة- وتموت، وبرضه كان هاياخد الموبايل..

يبقى قضاء أخف من قضاء، احمد ربنا واحنا في الأيام المفترجة دي.

والله على رأيك.. الحمد لله.. بس سؤال يا باشا؟

اتفضل.

هو حضرتك فكرت تكتب سيناريوهات قبل كده؟

لأ، ليه؟

أصل السيناريو اللي انت لسه قايله دا عبقرى، ينفع سهرة تلفزيونية.

مواهب يا باشمهندس بس الشغل دافنها.. عموما لو مصمم قوي يعني، ممكن تروح لشرطة

الاتصالات، هم بيحبوا المواضيع اللي زي دي قوي، ودا شغلهم بصراحة مش شغلنا احنا.

شكرته على المعلومة القيمة وخرجت من مكتبه بينما كان يتناول سيرة والدته أحد المشتبه بهم بكل

سوء، واتجهت فورا إلى شرطة الاتصالات، حيث إنه من المعروف عني أنني لا أترك حقي أبداً،

ومبدأ في الحياة هو: ما ضاع حق وراءه مُطالب، المهم.. في شرطة الاتصالات وجدت الضابط

المسئول عن متابعة مثل هذه البلاغات في إجازة، وتكلم معي أحد أمناء الشرطة أن الطريقة الوحيدة هي استدراج اللص والتعامل معه بنفسه فالطرق الرسمية لن تؤتي أي ثمار، وستضيع الوقت والجهد، شكرته على النصيحة وخرجت لا أدري ما العمل، فالشرطة تتصح من تُسرق سيارته بالتفاوض مع السارق، ومن يُخطف ابنه يدفع الفدية للعصابة، ومن يُسرق محموله باستدراج اللص، وقد كنت أظن أن استدراج اللصوص وإعداد الكمائن والقبض عليهم هو مهمة الشرطة، يبدو أن الشرطة احترفت دور الناصح الأمين ولعب دور يا بخت من وفق راسين.. والإنجاز الوحيد الذي حققته الشرطة مؤخرا هو المركز السادس في الدوري الممتاز.

في طريق عودتي إلى المنزل تذكرت أحد الأصدقاء الذي يعمل في جهاز أمني مهم، وبالرغم من علمي أن الشرطة تعتبر السرقات عموما ليست من اختصاصها، إلا أنني قلت لن أخسر شيئا إن استشرته فيما يجب عمله، اتصلت به وحكيت له الموضوع فأكد لي أن الأمل في عودة المحمول يقارب الأمل في عودة الجنيه إلى سابق عهده أمام الدولار، إلا أنه عرض عليّ أن يرسل معي أمين شرطة إلى فرع شركة محمول ليرى السارق على كاميرات المراقبة لعله يكون من الوجوه المألوفة أو من المسجلين لديهم وحينها تصبح متابعته أمرا سهلا، اتفقنا على القيام بهذه الخطوة في اليوم التالي لترتيب الأمر، اكتفيت بهذا القدر من التعامل مع الشرطة في ذلك اليوم وتوجهت إلى المنزل للاستراحة قليلا قبل الإفطار.

في اليوم التالي صحت مبكرا وارتديت ملابس تليق بمقام السيد أمين الشرطة الذي سوف أقابله.. فالرجل قد يمسك طرف الخيط الذي نلفه حول رقبة السارق.. اتجهت للقسم وقابلت أمين الشرطة وتوجهت بصحبته إلى مقر فرع الشركة واتجهت لموظف خدمة العملاء الذي كان يتابع معي الأمر.

صباح الخير، أنا صاحب المحمول اللي اتسرق هنا في الفرع.

أهلا صباح النور يا فندم فاكر حضرتك طبعاً، يا ترى لقيت محمول، ولا هاتستفيد معنا بالعرض بتاعنا على التليفون أبو كاميرا؟

لا أنا عايزك تفتح الكاميرا تاني للأستاذ.

مين دا؟

اتكلم كويس الباشا أمين شرطة من القسم جاي يشوف شريط كاميرات المراقبة عشان ممكن يتعرف على الحرامي.

أبوة بس حضرتك عارف إن كلمة السر مش معايا، مع مدير الفرع.

وهو فين مدير الفرع؟

مش موجود حضرتك.

هو المدير دا ما بي جيش هنا أبدا؟

لا، ببيجي بس هو دلوقتي مش هنا.

طيب ماتكلمه تاخذ منه كلمة السر زي ما عملنا يوم السرقة.

لا حضرتك مش هاقدر، أنا عملتها لحضرتك استثناء يوم السرقة إنما طالما البوليس دخل في

الموضوع يبقى لازم طلب رسمي من المأمور لمدير الفرع.

اللي هو مش موجود.

بالظبط كده.

أنا هاقدم فيكم شكوى بدعوى عدم التعاون.

أنا تحت أمرك يا فندم، وحضرتك لو حابب أنا ممكن أعملك خصم خاص على تليفون G3

بكاميرتين.

لو مكنتش صايم كنت رديت عليك.

كل هذا وأمين الشرطة يتابع الحوار بشغف من يتابع مباراة مصارعة بتعليق ممدوح فرج، المهم

باءت هذه المحاولة بالفشل وقمت بإعادة الأمين إلى القسم ثم اتصلت بخدمة العملاء لعمل شكوى

ضد مدير الفرع وموظف خدمة العملاء، استغرقت المكالمة حوالي نصف ساعة من الانتظار على

الخط وعدم فهم الموظفة لفحوى الشكوى ثم التحدث مع مديرها، وفي النهاية تم وعدي بحل المشكلة

ومعاودة الاتصال بي.

بعد الإفطار كنت على المقهى مع أحد الأصدقاء وقصصت عليه الموضوع فقال محتدا:

إزاي متقوليش الموضوع دا من ساعة ما حصل.

وأنت إيه علاقتك بالقصة دي، أنت تعرف حرامي من هواة جمع التليفونات الجديدة؟

لا، يا خفيف، أعرف حد شغال في شركة المحمول، نديله الرقم بتاع المحمول وماركته وهو

يتابعه وأول ما يشتغل على شريحة جديدة يقول لنا.

بجد.. طيب كلمه الله يكرمك بس يا رب يوافق.

هايوافق إن شاء الله سيب لي انت الموضوع دا وحاسب لي على السحلب وانا هاظبط لك الأداء.

شكرت صديقي على هذه الخدمة الغالية التي لم أكن سأتمكن من عملها لولاه وأعطيته بيانات التليفون وطلبنا سحورا على القهوة، وطبعاً قمت أنا بدفع حساب السحور باعتبار الخدمة المستقبلية، وقد كان.. فبعد ثلاثة أيام وجدت صديقي يتصل بي ويميلني رقم محمول وعنوانا، فهتمت منه أنهما خاصان بالشريحة التي تم تركيبها في تليفوني حديثا غالبا بواسطة اللص أو من اشتراه منه، شكرته بشدة حيث إنه قد أعاد لي الأمل مرة أخرى وأصبح لدي خيط يمكن أن يقودني إلى اللص، توجهت بالورقة المدون عليها البيانات إلى قسم الشرطة وقابلت الضابط إياه الذي تذكرني ورحب بي في فتور فبادرته:

بص يا باشا.. أنا قدرت أجيب رقم تليفون وعنوان الحرامي اللي سرق مني التليفون.

فقال باهتمام شديد وهو يسلك أذنه بمفتاح معدني:

طيب برافو عليك والله.. تحياتي.. يلا كلمه وربنا يوفكك معاه.

أكلمه.. أنا؟!!

أه أنت.. إيه مش معاك رصيد؟

لا مستورة الحمد لله.. بس يعني حضراتكم كشرطة مش هايكون لكم أي دور؟

بص يا حبيبي.. ثبته أنت بس في أي مُكنة وقل لنا وإحنا نعمل اللازم.

خرجت من القسم وقد تأكد لدي يقين لن يعيد لي تليفوني أحد غيري، وما ضاع حق وراءه مطالب فكرت كثيرا في خطة لاستدراج السارق مستعينا بتراث طويل من قصص أجاثا كريستي والمغامرون الخمسة وأدهم صبري، وعلى رائحة القهوة قمت بإعداد خطتي بكل إحكام ووضعت الخطة البديلة كما يحتم علم التخطيط البوليسي.

وكانت أول خطوة في هذه الخطة هي التأكد من الرقم الذي أعطانيه صديقي، فاتصلت به من تليفون أحد الاكشاك ليرد عليّ شخص بلهجة غير مصرية لأتأكد بنسبة كبيرة أنه هو.

الخطوة الثانية كانت التوجه نحو العنوان الذي ذكره صديقي، تحت البناية وقفت أتابع لوحة الاتصال الداخلي الانتركم التي يكتب عليها أسماء كل السكان لأجد اسم اللص الذي حصلت عليه من شركة الاتصالات مكتوبا أمام خانة الدور الثالث.. دق قلبي بشدة حيث إنني أصبحت على بعد خطوات قليلة من هدفي، كما أنني أثبتت نفسي أنني ضابط مباحث كفاء ضل طريقه إلى كلية الطب، وأن عدم اختياري لكلية الشرطة فيما بعد كان من سوء حظ جهاز البوليس، لم أستطع دخول البناية لأن بابها مغلق ولا يفتح إلا بواسطة أحد السكان.. دققت جرس الاتصال الداخلي لشقة اللص كثيرا ولكن أحدا لم يرد.. انتظرت برهة حتى فتح أحد السكان باب البناية فدلقت إليها مسرعا

وتوجهت للطابق الثالث، وهنا انهارت أحلامي كلها، فمنظر الباب من الخارج يوحي بأن الشقة مهجورة منذ فترة، دقت الجرس على أمل أن يفتح لي أحدهم وهنا سأظاهر بأنني أحد الباعة الصينيين الذين يجوبون منازل المصريين ليبيعوهم بضائع رخيصة الثمن والجودة.. صحيح أنني لم يكن معي أي بضاعة، ولم يكن معي حتى حقيبة أدعي أن بها بضائع، دعك من أن شكلي ليس صينيا على الإطلاق.. إلا أن هذا لم يشغل بالي ساعتها، المهم أنني دقت الباب كثيرا وطويلا حتى فتح الباب، لم يكن هو نفس الباب الذي أدق عليه وإنما باب أحد الجيران يسألني عنم أريد، فكرت للحظة أن ألعب دور البائع الصيني ولكن نظرة إلى البنيان القوي للرجل الذي فتح الباب جعلتني أعدل عن ذلك.. فذكرت اسم السارق وقلت أنني أريده لأمر هام.. ليعلمني الجار أن السارق قد هجر البناية منذ فترة حيث إنه لم يدفع الإيجار ولا إيصالات الكهرباء المستحقة عنها، هزرت رأسي متفهما وغادرت مسرعا قبل أن يطالبني بالمبالغ المتأخرة على الرجل.. ها قد ضاع مني خيط، ولكن ما زال هناك خيوط أخرى مهمة.. أولها رقم المحمول.. وهنا كانت الخطوة الثالثة من الخطة بشراء شريحة محمول برقم جديد تماما، وبمساعدة أحد المختصين في أمور تكنولوجيا المعلومات قمنا بتسجيل الخط على مواقع إظهار رقم الطالب باسم إحدى الوكالات التي تقدم مساعدات للاجئين والفقراء.

أعطيت المحمول لزوجتي وأفهمتها دورها جيدا.. ستتكلم بإنجليزيتها الممتازة وكأنها إحدى موظفات هذه الوكالة وستقول له أنها بحاجة لبعض المعلومات حتى تستطيع أن تدرجه على كشوف المساعدات الشهرية، وقد لعبت دورها بامتياز حقيقي، واستخلصت منه كل المعلومات التي يمكن أن تساعدنا، فعلمت أنه يدرس في إحدى الجامعات في مصر بمنحة من بلده الأصلي، ومنحها محل سكنه الجديد وكان في منطقة شعبية قريبة، ورقم جواز سفره وكل شيء، واتفقت معه زوجتي على أن يقابله أحد موظفي الوكالة -أنا- أمام محل شهير قريب من محل سكنه ليأخذ توقيع على بعض الأوراق الرسمية ويسلمه كوبونات يأخذ بها مواد غذائية من أرز ومكرونة وجبنة رومي ومكسرات وحلويات وفوانيس رمضان وتراييزات بلياردو وبنج.. سال لعاب اللص ووافق على الفور، أرسلنا له رسالة على الموبايل بها عدة أرقام أفهمناها أنها الكود الخاص به في الوكالة وشددنا عليه أنه يجب أن تكون معه هذه الرسالة أثناء مقابلة مندوب الوكالة.. وذلك فقط حتى نتأكد من أنه سيجلب معه الموبايل معه.

توجهت مرة أخرى إلى قسم الشرطة وأنا أكاد أطيح فرحا، وتوجهت إلى مكتب الضابط يه هاتفا:
يا باشا.. يا باشا.. ثبتهولك.

نظر لي في عدم فهم فتابعته موضحا:

الحرامي يا باشا.. حرامي الموبايل.. ثبتته وهاقابه كمان ساعة قدام محل
آه.. افكرتك.. بس يابني إيه المعاد دا! كمان ساعة إيه.. انت مش شايف الجو حر ازاى.. وكمان
الأمناء كلهم روحوا.. ابقى ثبتته بعد الفطار وتعالى لنا واحنا نعمل اللازم.

بعد الفطار!

آه.. ولو تكمل جميلك بقى يبقى بعد مسلسل الساعة 9 عشان القسم هنا كله متابعه.

من عنيا يا فندم.. في أي أوامر تانية؟

شمر ساعديه خارجا من المكتب وبدا عليه أنه ذاهب ليتوضأ وقال لي:

لا.. روح ربنا يوففك.

والله يا باشا أنت بقيت بتدعي لي بالتوفيق أكثر من أمي.. كتر خيرك.

لم يرد عليّ ونادى على الجندي خارج مكتبه:

حضر لي المصلية يابن ال ***** عشان أصلي العصر قبل ما أروح.

خرجت مغتاظا من القسم.. فقد جاء الزمن الذي يختار فيه رجال الشرطة توقيت القبض على
الصوص.. شيء جميل.. عموما أنا كنت مستعدا لهذا أيضا.. فكان معي بعض الأوراق التي تشبه
الأوراق الرسمية وذهبت بالفعل لمقابلة اللص وقد نويت إن أخرج المحمول أن «أننتشه» من يده
وأجري مبتعدا وقد ظفرت بموبايلي.. خطة مناسبة تعتمد على سرعتي في الركض وأنا أؤكد أنني
لست أوصف بالبطء.. وقفت في المكان والموعد المحدد وجاء اللص.. عرفته من هيئته.. نفس القامة
الفارعة والسحنة التي توحى أنه ليس من أهل البلد.. تبادلنا بعض الكلمات وأعطاني نسخة من جواز
سفره، طلبت الاطلاع على الرسالة التي أرسلت إلى تليفونه.. مد يده في جيبه أما أنا فقد اتخذت
وضع الاستعداد للركض، وهوب.. أخرج من جيبه تليفونا محمولا قديما للغاية يبدو أن خفرع
شخصيا كان يستخدمه لمتابعة بناء الهرم.. ليس هذا هو تليفوني بالطبع سألته إن كان هذا هو
التليفون الوحيد الذي يملكه.. طبعا استغرب سؤالي فقلت بارتباك أن لدينا رسائل مالتى ميديا خاصة
بطريقة استخدام كوبونات المواد الغذائية ويلزمها تليفون آخر حديث فقال لي أن لديه واحدا بالفعل
لكنه لا يستخدمه باستمرار.. اتفقنا على لقاء آخر في نفس اليوم «بعد الإفطار» وبعد مسلسل التاسعة
مساء يكون معه فيه التليفون الآخر لأريه كيف يتعامل مع الكوبونات.

في الموعد المحدد ذهبت مرة أخرى لنفس المكان وأخرج المحمول فخفق قلبي بشدة.. هو..
تليفوني الحبيب أخيرا وبعد طول انتظار.. كان قابعا في يد اللص.. لكن كف يده الكبير مثل خف
الجمال كان يحول دون خطة «نتش» الموبايل والجري.. فهو يحيط بالمحمول من كل جوانبه.. لذا

فقد قررت استغلال اطمئنانه لي لأستدرجه للقسم.. قلت له أن الكوبونات مع أحد الزملاء وسنذهب لإحضارها منه.. وأخذته في سيارتي وتوجهت به إلى القسم.. لحسن الحظ أن اللافتة على باب القسم لم تكن معلقة وذلك للتجديدات التي يجرونها في مدخل القسم، وأيضا جندي الحراسة لم يكن في مكانه.. لا بد أنه يتابع المسلسل.. قدته إلى إحدى الغرف في ساحة القسم وطلبت منه الانتظار ريثما أقابل زميلي وأرجع.. وطرت إلى مكتب الضابط:

يا باشا.. يا باشا..

إنت تاني!

دا أنا عايز أشكرك.. ربنا استجاب دعواتك ووفقتي وجبت لك الحرامي لحد هنا.

هنا فين؟

هنا في القسم.

أنت بتهرج.. دا مكان تجيب فيه حرامي؟

إيه يا باشا هو احنا في الأوبرا.. مش دا القسم والحرامية بيتقبض عليهم هنا؟

قصر الكلام.. عايز إيه دلوقتي؟

والله لو سعادتك تتكرم وتقبل تقبض على الحرامي يبقى كتر خيرك يا حكومة.

أوففف.. أمري لله..

ونادي بصوت عال:

يا منتصر.

دخل أمين شرطة للمكتب مهرولا وبيده كيس فيه بقايا عصير سوبيا.

الأستاذ جايب لنا فضلة خيرك حرامي موبايلات.. روح اقبض عليه وارميه في الحجز.

حاضر سيادتك.

قدت أمين الشرطة ومعه أحد الجنود إلى الغرفة التي تركت فيها اللص فدخلوا وجدلاه في ثانية واحدة وقبضا عليه ثم اقتاداه إلى الحجز وأخذا منه الموبايل وسلماه للضابط الذي قال لي بانتشاء:

أدينا قبضنا عليه يا سيدي.. مبسوط كده.. على الله ما يكونش عندك طلبات تانية.

ألف شكر يا فندم والله أنا تعبتكم معايا.. لو سيادتك بس تسلمني الموبايل يبقى كتر خيرك.

موبايل إيه اللي تستلمه؟ دا جرز.. يعني تستلمه من النيابة بكرة إن شاء الله.

نيابة ليه بس يا باشا؟ الموبايل بتاعي والحرامي عندكم.. إديني التليفون خليني أروح الحق السحور.

ماينفعلش.. دي قضية كاملة تعبنا فيها سهر وتحريات ومتابعة.. وزى ما احنا عملنا شغلنا النيابة كمان لازم تعمل شغلها.. وكمان يعرفوا إننا شغالين كويس وبنقبض على الحرامية.

شغلكم! يا باشا دا أنا اللي جايب الحرامي لحد هنا.

ومين اللي دعى لك إن ربنا يوفقك؟! إنت نسيت؟

يا باشا أنا صاحب التليفون.. والله العظيم التليفون دا بتاعي.. إيه بس اللي ممكن يثبت لك إنه بتاعي؟

حضن.

نعم؟!

آ.. قصدي العلبة الأصلية أو فاتورة عليها السيريال نمبر بتاع التليفون.

أخرجت له الاثنتين فتفحصهما مليا ثم قال:

خلاص أنا هاثبتهم في المحضر عشان تستلم التليفون بسهولة.. يلا بقى روح اتسحر ونام عشان عندك نيابة الصبح.

يبدو أنني ليس مكتوبا لي الخروج من القسم مجبور الخاطر ولو لمرة واحدة.

في صباح اليوم التالي توجهت إلى دار النيابة وظللت منتظر دور القضية – آه ما هي بقت قضية – لأكثر من أربع ساعات.. هذا وأنا صاحب الحق.. وبعد طول انتظار دلفت إلى مكتب وكيل النيابة الذي سألني عدة أسئلة روتينية ثم سلمني التليفون وانصرفت شاعرا بالانتصار بعد كل هذا المجهود الطويل والتخطيط الدقيق المحكم.. فعلا.. ما ضاع حق وراءه مطالب.

بعد عدة أسابيع وجدت اتصالا من رقم مختصر رددت لأجد أنها شركة المحمول تحقق في الشكوى التي قدمتها في مدير الفرع وعدم تعاونه في فتح الكاميرات.. كنت قد نسيت هذه الشكوى تماما.

صباح الخير.. أنا عفاف من خدمة العملاء.. حضرتك كنت قدمت شكوى بخصوص كاميرا أو حاجة كده؟

أو حاجة كده!! آه حصل وقدمت شكوى.

احنا حققنا في الشكوى ويسعدنا نقول لحضرتك إن الكاميرا في الموبايل اللي عايز تشتريه 5
ميجا بيكسل مش 3، وعشان حضرتك عميل مميز عندنا هانعمل لك خصم 2 ميجا بيكسل لو
اشتريت التليفون النهاردة.

دا كده بعد ما حقتوا في الشكوى! وأنا عميل مميز.

طبعاً يا فندم.

.\$\$\$#@###%%\$@#\$\$#@#%&

سعداء بخدمة حضرتك يا فندم وشكراً لاستخدامك شبكة.....

لما كان هذا كتابي الأول بعد رحيل أستاذنا الدكتور/أحمد خالد توفيق .فقد رأيت إعادة نشر هذه القصة التي نشرت سابقا بناء على موافقته الكريمة لتكون أحد الشواهد العديدة على تواضع رجل بقامة د .أحمد خالد وتشجيعه المستمر للشباب .

القصة موجهة بالأساس لقراء د .أحمد خالد توفيق وخاصة سلسلة «ما وراء الطبيعة» وبطلها رفعت إسماعيل .

صحيح أن هذه القصة تخلو من مدام عفاف .لكن أتمنى ألا تخلو من البتسامة .

أسطورة الفتوة

«أسطورة الشبشب»

شكر خاص للدكتور أحمد خالد توفيق الذي سمح بنشر هذه القصة واستخدام الغلبان رفعت إسماعيل في هذه الأسطورة التي بهدئته معنا كثيرا.
ندعو له بالرحمة والغفران.

مقدمة

أنا الدكتور رفعت إسماعيل أستاذ أمراض الدم المتقاعد الذي واجه أشباح الأرض كلها وصاحب الرقم القياسي في هدم الأساطير، ما زلت أحيًا .. نعم ..حتى هذه اللحظة على الأقل متحديا جزم الأطباء بحتمية وفاتي منذ عشرة أعوام .. سذج هم هؤلاء الأطباء ..ماذا؟ أنا أيضا طبيب ..أحسبون أن هذا يعفيهم من الوصف بالسذاجة!

ماذا أحكي لكم اليوم ..كانت لي مغامرة في عاملا أتذكر العام ..اعذروني إنها الذاكرة، ولكن ما علينا من تاريخها المهم أحداث المغامرة، كانت تدور في إحدى البلدان الأوروبية ربما النمسا أو بنما أو ألمانيا ..لست متأكدا بالضبط ربما تكون سويسرا أو إيطاليا أو البرازيل، ماذا.. ليست البرازيل في أوروبا... ربما كانت كذلك في وقت من الأوقات ..من يدري، إن ما نعلمه قليل جدا.. أقل مما نتخيل، هناك تساؤل شهير لـ أرنولد شيلدون «هل أستراليا هي أستراليا حقا ..لا أحد يدري» ، ولكن دعكم من البلد الآن، أنتم تهتمون بأمور شكلية للغاية، كانت المغامرة تدور عن ..عن ..لا تتظروا لي هكذا، الحقيقة أنني لا أتذكر أي مغامرة كنت سأحكي ..أرى خيبة الأمل على وجوهكم، لا تتركوني وحدي، لقد تذكرت الآن إحدى المغامرات التي كانت في مصر ولكن ..لا ..لا أستطيع أن أحكي هذه المغامرة بالذات ..أرجوكم لا تضغطوا عليّ ..يا لقلبي المتعب الذي يحبكم، فليكن ولكن بشرط أن تعدوني أن تظل هذه المغامرة سرا بيني وبينكم، لا يعلمه إلا القراء والمعجبون والجمهور المصري والعربي والعالمي فقط.

الآن فقط أستطيع أن أحكي مرتاح البال عن أسطورة الفتوة ..نعم لم تخنك عيناك، لكن ليس بالضرورة أن يكون هناك فتوة في المغامرة، لقد قال يوجين يونسكو حين سئل عن سر تسمية مسرحيته بـ المغنية الصلحاء فأجاب: «ليس هنالك أية مغنية في المسرحية لا صلحاء ولا بشعر، لهذا فقد وجدت أن الاسم مناسب للغاية» !ولكن -ويا للدهشة- نعم هناك فتوة في المغامرة، كيف وأين ولماذا وحتى ولعل ..ربما.

دعكم من التساؤلات ودعوني أبدأ في الحكاية قبل أن أنسى مجددا.

«قليلون هم من يمكننا التضحية من أجلهم»

توجهت إلى مكتبي بقسم أمراض بكلية طب مستعدا لسماع نتائج مفاوضات عزرائيل مع مرضاي وهل انتقلوا للعالم الآخر بعد، كان هذا حين سمعت تلك المناقشة الحادة حول من يتولى رئاسة القسم للعام القادم، ألم أقل لكم كم هم سذج هؤلاء الأطباء، ناديت أحد النواب لأسأله عن أحوال المرضى:

كيف حال الحاج سلامة؟

من الحاج سلامة؟

1. مريض سرير

توفي من ساعتين.

والآنسة منال سرير 2؟

جاءها نزيف مفاجئ ماتت على أثره.

والطفل عصام سرير 3؟

يحتضر الآن.

وماذا تفعلون أنتم بينما يرحل كل هؤلاء؟

أجاب في حماس: كنا نقبض الحوافز المتأخرة منذ ثلاثة أشهر، لقد زاد مرتبي سبعين قرشا يا دكتور رفعت.

تبا لكم جميعا، بالمناسبة.. فلتقرأ الفاتحة لمدام عفاف.

من مدام عفاف.

4. مريضة سرير

متى سيعرف الأطباء أن سبعين قرشا ليست مبلغا تضحى في سبيله بحياة إنسان، طالعت إحدى المجالات الطبية ولكن لفت نظري خبر في الجريدة عن وصول روسيات يحترفن الرقص الشرقي، عجيب هذا المزاج.. رغم أنني لا أرى في الرقص أي شيء سوى إنسان يتلوى كمريض المغص الكلوي، إلا أنني أتساءل عن الذي يستجلب روسيات ليرقصن رقصا شرقيا، هل تمكنت منا عقدة الخواجة إلى هذه الدرجة؟ أنا لا أتخيل أن يسمع أحدهم إحداهن تغني بعربية ركيكة هيببي يا إيني.. يا مسهر إيني ويستمتع بهذا العبث، ولكن من قال إن الإنسان يفهم كل شيء في الدنيا؟!!

جاء أحد السعاة يحمل مظروفا ويسأل عن الدكتور رفعت، وأعرف أنكم لن تصدقوني ولكنني أحسست بالحب الجارف ناحية المظروف منذ رأيتته، هناك شيء ما يجذبني إليه، له عبق إنجليزي رصين.. له سحر ورقة وجمال ماجي نعم أكيد هو من ماجي، ولكنه تأخر كثيرا، لقد وصلت الرسالة إلى قلبي منذ خطتها أصابعها، وقبل أن يصل المظروف إلى مصر، وقبل أن تضع هي الرسالة في المظروف أساسا، فضضت الخطاب لأقرأ:

«الأعز رفعت،

صدق هذا أو لا ولكنني سأمر على مصر ضمن جولة لزيارة بعض بلدان الشرق الأوسط، من أجل بحث عن ... لا أعتقد أنك تهتم بهذا، جل اهتمامك طبعاً أنني سأتي لبلدك الحبيب المشرق -برغم أنك فيه، سأصل إلى القاهرة الثلاثاء القادم، سأقيم بفندق ويمكنني أن أراك صباح الأربعاء -لو أن ليس لديك ما يشغلك، احرص على أن تظل حيا وبخير حتى ألقاك على الأقل».

ماجى

وهل يوجد ما يستطيع أن يشغلني عنك، طيلة كل هذه الأعوام ولم يفلح شيء في زعزعة مكانتك من قلبي، أرى مصر الآن تستعد لوصولك، أكيد هي ستحسن استقبالك حتى أراك.

الثلاثاء الذي كان قادمًا:

وصول الرحلة رقم قادمة من المملكة المتحدة وعلى الركاب التوجه إلى صالة الوصول.

«قليلون هم من يمكننا التضحية من أجلهم»

الأربعاء:

لا أعرف أين ماجي، لقد سألت في المطار لأعرف أن الرحلة قد وصلت وأن ماجي كانت على متن الرحلة، ولكنها لم تصل إلى الفندق المذكور أبداً.. تبا لهذا، ماذا يعني هذا، قد تكون انشغلت في أعمالها قليلاً؟ ربما.. هي لم تتشأن أن تذكر طبيعة أبحاثها، لا أعتقد أن أحدهم قد تعرض لها بسوء، ولكن لا أعرف شيئاً، ولست متأكداً من أي شيء، في مثل هذه الظروف سأصبر قليلاً قبل إبلاغ الشرطة .. لا أحب كثيراً أن أظهر بصورة الأبله المدله في حب إنجليزية ولم يطق بعدها عنه بضع ساعات.

الخميس:

قررت إبلاغ الشرطة فالأمر أصبح لا يمكن السكوت عليه، لآن أخبر عادل بالأمر الآن فالأمر لا يحتاج إلى وساطة فضلا عن أنه في الإسكندرية، توجهت إلى القسم ودلفت إلى مكتب الضابط وقلت له:

مساء الخير، أود الإبلاغ عن حالة اختطاف.

خير .. اختطاف مرة واحدة، مين بقى اللي اتخطفت؟

في رومانسية قلت :ماجى.

مين يا خويا؟

بجدية قلت له: آماجى.. مواطنة إنجليزية وصلت يوم الثلاثاء وكان من المقرر أن تقيم بفندق ولكنها اختفت من يومها.

وانت تعرفها منين؟

دي صديقة.

صديقة .. واسمها ماجى .. وكمان إنجليزية، ومصاحبك انت بقى من وسط رجالة مصر كلها؟! ماشى ماشى ، بص يا عم الحاج .. من الآخر الفندق دا مش تبع القسم بتاعنا.

يعني إيه؟

يعني تروح قسم مصر الجديدة وهم يدوروا بقى.

توجهت بسيارتي إلى مصر الجديدة وأنا أفكر عنن قد يكون اختطف ماجى، تبا، وهل تهتم

ماجى شخصا آخر في العالم غيري أنا؟

دلفت إلى القسم وتوجهت للضابط.

أريد الإبلاغ عن اختطاف مواطنة بريطانية.

يادي الليلة السوداء، يا عم اهدا كده ومتقولش الكلام الكبير ده، اختطاف إيه بس؟

يا فندم دي كانت المفروض تنزل في فندق ولم تظهر فيه من يوم وصولها، وفي قسم الدقي

قالوا إن الموضوع تبع قسم مصر الجديدة.

إنت قلت إيه؟ مانزلتش في الفندق؟

أبوة.

تبقى مش تبعنا يا أستاذ، مسئوليتنا تبدأ منذ وصولها إلى الفندق، ما دام ماوصلتس الفندق يبقى
مالناش دعوة.

والعمل؟

روح بقى لشرطة السياحة ..شرطة المطار ..حرس الحدود ..اشتكي في همسة عتاب المهم تبعد
بالمصيبة دي عننا، ياللا بالسلامة.

غريب هذا ولكني لا ألومه كثيرا في الواقع، المهم توجهت إلى مختلف قطاعات الشرطة ولم
أصل لحل، فالأمر ليس مسئولية أحد ..شيء غريب.

الثلاثاء الذي كان قادمًا: الحادية عشرة ليلا.

فتاة إنجليزية تخرج من المطار وتشير لسيارة أجرة قريبة ..السائق لا يبدو مريحا على الإطلاق
ولكنها أعزت شعورها إلى إرهاق السفر، حمقاء ..يمكن لإرهاق السفر أن يحول لون بشرته إلى
الرمادي الداكن، ومحجري عينيه إلى الأحمر، ويمكن أيضا أن يشق لسانه كلسان الحية، أما أن
ينبت له ذيل أخضر فهذا هو المستحيل بعينه.

الخميس: آخر الليل.

ظلمت أمشي طوال الليل لا أدري لي وجهة، كان عقلي مرهقا من التفكير، كيف اختطفت ولماذا
أفقت من أفكارى لأجد نفسي في مكان غريب تماما لا أعرفه، كيف وصلت إلى هنا؟ هل سرت كل
هذه المسافة بدون أن أدري؟

المكان عبارة عن شارع يشبه شارع الهرم مليء بالملاهي الليلية أخذت أتأمل الأنوار وما زلت
في حالة شرود، ذكرياتي مع ماجي تتداخل مع ما أراه في شريط سينمائي صنعه مونتيير محترف ..
زيارتي الأولى لبريطانيا ..لقائي الأول بها ..كازينو نعيمة ..قارب في وسط بحيرة لوخ نس ..قبو في
قلعة إنجليزية ..شاهد الراقصة عزيزة أستك ..اختباؤها في مصر في زيارة سابقة ..كباريه جانب
النجوم مغامرتنا مع الموس ..ماذا؟ كباريه جانب النجوم لا أعتقد أن هناك صاحب ملهى ليلي لديه
الثقافة الكافية لمعرفة جانب النجوم ..حدثتني حاستي السادسة أن أدخل ..آه يا أمي لو تعلمين أنني
سأقضي الليل في ملهى ليلي، ولكن من سيخبرها ..دلفت إلى الداخل ونظرت حولي لأصاب بخيبة
أمل شديدة ..فلا يوجد شيء غير عادي ..مجرد ملهى عادي مليء بالأضواء الملونة والموسيقى
الصاخبة، وصور شبه عارية هنا وهناك، إلى جانب صورة فرعونية تبدو أنها لملك ما في الأسرة
الكذا عشرة ..من يهتم ..أناس سكارى يتمايلون على أنغام مغني ذي صوت أشبه بصراخ

توجهت إليها مصمما أن أخذها معي ولكني فوجئت بثلاثة ثيران بشرية يعترضون طريقي وهتف أحدهم برقة:

- إنت رايح على فين يا بأف؟

لو أخبرته بما أنويه قد يحولني إلى ياخني بقبضة يده.

لا أبدا يا معلم، أنا كنت رايح أنقطها.

هات النقطة يا ظريف زمانك وأنا هاوصلها.

هنا فوجئت بذلك الـ «توفيق إبراهيم» يهتف:

- سيويه يا شباب دا معايا ..وأشار إلى الشيشة وقال بلهجة روتينية ...مسعد ..هات ولعة

للشيشة.

- تؤمر يا باشا.

سألته محنقا: «من أنت؟ وهل تعرفني؟».

أجاب من وسط أنفاس الشيشة:

أنا كمان باسأل إنت مين، بس حبيت أتقذك الأول وبعدين أعرف.

ببعض التفكير وجدت أن كلامه منطقي بعض الشيء ..معه حق ..فلا فائدة من التعرف على

جثتي بعد أن يشرحني هؤلاء الثيران.

أنا الدكتور رفعت إسماعيل، ويجب أن أغادر هذا المكان مع تلك الراقصة فورا.

أنا كمان عايز أمشي واخدها معايا، بس إيه رأيك فيها؟

يبدو أنه مصاب بنوع من اللثغة يضيف كلمة «وأنا كمان» قبل أي جملة حتى خشيت أن يقول

«أنا كمان اسمي رفعت إسماعيل».

أخذت أفكر في المعطيات الجديدة..

مكان غريب.

ظهر فجأة منذ أسبوع.

اسمه كباريه جانب النجوم.

ووجدت فيه ماجي.

وأیضا يقدم أحسن شيشة في مصر.

يبدو أنها ليلة سوداء بحق.

«تشرب شاي ولا تاكل فراخ مشوية؟» سألني توفيق ليقدم لي واجب الضيافة، في الماضي كان الاختيار بين الشاي والقهوة والمنتجات، لا بأس أبداً بالفراخ.

«لا تفكر أبداً أن تأخذها بالقوة».. قالها توفيق وهو يصب الفراخ المشوية في الطبق.. إن المكان يعج بالأوغاد فضلا عن أن صاحب المكان غريب الأطوار واسمه أيضا غريب للغاية.. ألم تقرأ اللافتة؟ «كباريه جانب النجوم.. ملك المعلم لوسيفر وحرمه».

د. لوسيفر؟!!

غريب هذا.. فقد تزوج لوسيفر.. تابع توفيق:

تخيل مرة اشتكيت له إن الشيشة مكتومة قعد يقول لي «سأغير لك الشيشة لأنني بك أسعد ولك قلبي يطرب.. غير الشيشة يا مسعد».

ولكن لماذا يختطفون ماجي، لماذا ماجي بالذات؟

لن نعرف أبداً إلا إذا أصبحنا منهم.

نعم.. يجب أن نصبح منهم.

«قليلون هم من يمكننا التضحية من أجلهم»

توجهت إلى إدارة الملهى مرتديا قلنسوة صوفية وكوفية بالية ونظارة شمسية في محاولة فاشلة للتكر، لا أعتقد أنها يمكن أن تخدع عمود النور في أول الشارع، ولكن هذا هو كل ما أعرفه عن فن التكر، قابلت أحد الثيران الثلاثة.

على فين؟

عايز أقابل المعلم لوسيفر.

مش موجود.. تحب تقابل النائب بتاعه؟ الأسطى شلاطة.

شلاطة شلاطة.. ماشي.

قادني الثور إياه إلى مكتب مليء بصور الراقصات.

صباح الخير يا معلم.

رحب بي بشدة هاتفا:

أهو صباح ..وانتم اللي يشوفكم يشوف خير.. عايز ايه في يومك الأغير ده؟
والنبي يا معلم كنت طمعان في كرمك وكرم أخلاقك وكرم ضيافتك وكرم رجولتك و...
قاطعني هاتفا:

وكرم مطاوع وكرم جابر.. ايه يابني شغل الشحاتين ده، اخلص وهات من الآخر.
كنت عايزك تشوف لي أي شغلانة هنا في الكباريه.

وانت عايز تشتغل ايه بقى ..مقشة؟

ابتلعت الإهانة كأنها لم تكن وأردفت:

لا يا معلم مش فيه رقاصة جديدة عندكو؟

آه، ودي مالها ومال الشغل؟

آآ ..مش كل رقاصة يلزمها ..احم ..فتوة؟

هاهاها بقى إنت تشتغل فتوة، دا الفتوات يزعلوا قوي مني لو وافقت.

طيب ما تسأل صاحبة الشأن.

هو إنت جاي تخطبها يا فرشة البلاط إنت، وعموما نسألها.

وصرخ بصوت هادر:

ماجى ..بيت يا ماجيييييييييييييي.

دخلت ماجى مذعورة:

يس مالم معلم.

يس ..اسمها نعم يا بت.

نأم مالم.

بقى الواد الخرع ده عايز يبقى الفتوة بتاعك .. قلتي ايه؟

نظرت لها في لهفة فنظرت لي بعيون خاوية:

أوكي مالم ..نو بروبليم.

نظر لها مشدوها بعد كلماتها الإنجليزية وبدا عليه عدم الفهم ..ثم قال:

يعني ما رديتيش ..عموما السكوت علامة الرضا ..حظك من السما ..إنت اسمك ايه ياض؟

محسوبك رفعت اسماعيل.

ياللا يا زفت ..روح وإنت فتوة.

متشكر يا مالم ..آآآ ..يا معلم ..ربنا يعمر بيتك ربنا ي...

خلاص بقى ياض ..ورديتك تبدأ الليلة ..غور من وشي بقى.

«قليلون هم من يمكننا التضحية من أجلهم»

بسس ..ماجى.

همست بها أمام غرفتها لعلها تسمعني لكنى فوجئت بها تندفع خارجة من الغرفة.

الهقوني الحقوني ..هليلب بليز.

هبيت من مكاني.

خير يا أسطى ماجى على سن ورمح ..فيه إيه؟

صرصار ..بلاك ..في الأوضة.

صرصار؟

دلفت إلى الغرفة كفارس مغوار يطارد فلول التتار وما هي إلا لحظات وانتهى الأمر تماما ولكنى

وجدتها فرصة سانحة للانفراد بـ ماجى.

ماجى..ألا تعرفينى؟

أعرفك ..إنت الفتوة بتاعى.

أنا رفعت يا ماجى ..رفعت اسماعيل.

من رفعت اسماعيل؟

هنا أحسست بمن ينتصت من الخارج فهتفت في يأس:

الفتوة بتاعك ..ياللا عشان نمرتك.

نظرت لي بعدم فهم، ثم هزت كتفيها واتجهت إلى المسرح ..وانطلقت أنا أحاول أن أكتشف

شخصية الجاسوس، لكنى لم ألحق به ..أخرجت قرصا من العجوة لأضعه تحت لساني، فلم يعد قلبي

المسكين يتحمل كل هذه الإثارة ..ولم تعد ميزانيتي تتحمل ثمن النيتروجلوسرين ..يجب أن أنفرد بها

لكن كيف وأين..لا أعرف.

عدت إلى شقة توفيق إبراهيم غريب الأطوار هذا، ما أن رأني حتى هتف:
باشا، اتفضل ..حمامك تحبك، لدي فراخ مشوية طازة.
أخذت أتساءل منذ متى لم يكن لديه فراخ مشوية، لا بد أن صنبور داره هو مصدرها وإلا فهناك
شيء غريب حقا.
أشكرك على أي حال.
بقي أنت بقيت الفتوة بتاعها ..طب ما تكلمها يا عم.
قطعت رغيف الخبز الطازج لأطلق سراح الأبخرة المأسورة بداخله منذ خبزه والتي باتت تحلم
بالخلاص، فتصاعدت ترقص رقصة الحرية في جو الغرفة.
لكن هناك مشكلة.

خير؟

لم تتذكرني بعد، أشك أنها تحت تأثير شيء ما أفقدها الذاكرة.
ضيق عينيه وقال في ذكاء وهو يقضم فخذ الدجاجة:
عندي حل مستوحيه من واحد صاحبي.
الحقتي به.

قلمين على وشها وهاتفكر اللي جابوك ..إحنا مش فاضيين للدلع ده.
أنا أضرب ماجي، يبدو أن صديقه هذا أخرق ..الحق أن من يفكر في إيذاء ملاك مثل ماجي لهو
أخرق حقا.
ماذا أفعل..

لا أدري حقا، إنني يجب أن أسد...، كم الساعة ..إنه موعد ورديتي في الـ...، أنتم تعرفون، يجب
أن أذهب الآن وإلا ذبحني شلاطة.
سألحق بك حالا ..ثواني بس ألبس الشبشب واجي لك على طول.
تبا لهذا الشبشب اللعين.

«قليلون هم من يمكننا التضحية من أجلهم»

أنا في وسط الصالة بتتكري الأخرق إياه وماجي مندمجة في وصلة رقص مرتدية بدلة الرقص الكحلية التي تجعلها فاتنة تحاول أن تفعل شيئا ما ولكنها فاشلة تماما في هذا، والغريب أن هؤلاء الحمقى مستمتعون تماما بهذا، بل إن أحدهم اندفع ناحيتها لتحتيتها .. يجب أن يوقفه أحد .. ماذا؟ أنا من يجب أن يوقفه فأنا الفتوة هنا .. يا لها من ورطة فهو ضخم كمقطورة لوري ألمانية، عنيف كثور في حلبة مصارعة، اتجهت نحوه وقلت في لهجة تصنعت فيها الحزم:

على فين يا خفيف؟

أزاح يدي بل وأزاحني كلي بيده كديناصور يهش بعوضة، سقطت أرضا وقد أمسكت بتلابيبه أثناء سقوطي فاختل توازنه -ساعد على هذا أنه كان ثملا- هنا تناولت مقعدا وهشمته على رأسه أعرف أن هذا ليس أخلاقيا ولكن ليس هذا وقت الانضمام لجمعية حقوق الإنسان، بعدها صحت بأعلى صوتي في القاعة:

كل واحد يقعد باحترامه ويعرف إن المعلم رفعت اسماعيل لسه بصحته.

ساد الصمت في القاعة للحظات بعدها .. انفجر الجميع في الضحك الهستيري .. حمقى .. سأريهم ولكن فيما بعد.

أنهت ماجي فقرتها وصعد مونولوجت بائس إلى خشبة المسرح ووجدت الجميع يعيرونه اهتماما، إذن فهي فرصتي.

تسللت إلى غرفة ماجي وأغلقت الباب فوجلت:

عفت ما الذي جاء بك إلى هنا؟!

عفت؟ عفت مين يا روح خالتك .. إنتي كمان نسييتي اسمي .. أنا رفعت يا قطة.

عفت .. رفعت .. برعي .. مش مهم .. إيه اللي جابك هنا؟!

جاي افكرك .. حاولي معايا كده .. أنا رفعت اسماعيل .. بحيرة لوخ نس .. القلعة بتاعتك في إنفرنسشاير .. رونيل السوداء.

خلعت شبشبها في حركة تهديد منذرة بالويل وهتفت:

إنت اللي ليلتك هاتبقى سودا لو ما غورتش من وشي دلوقتي.

تبا لكل شبشب العالم.

باقولك إيه .. استعباط مش عايز .. اتعدلي كده وافتكري بدل ما أهبدك قلمين يخلوكي تفتكري تاريخك كله.

قرنت القول بالفعل فأنا حقا لم أعد أتحمل كل هذا الملل، صفتان فقط .. استنفدت فيهما كل طاقة
الفراخ التي أكلتها على مدار اليومين السابقين .. صفتان جعلتاني مشرفا على الذبحة الصدرية،
لكنهما قد أنتا ثمارهما فقد أفاقت ماجي كمن استيقظ من نوم عميق، يبدو أن صديق توفيق هذا ليس
أحمقا تماما، وهتقت في حرارة:

رفعت!

رقص قلبي في صدري طربا، لم أعرف من قبل أن اسمي بهذا الجمال.
ماجى الحمد لله أنك بخير.

ما الذي أتى بي إلى هنا؟ وأين هو هنا هذا؟

أنت صديقي هذا أو لا- راقصة في ملهى ليلي.

صعقت لهذا طبعا وصرخت:

أنا .. راقصة .. كيف؟!

يبدو أنك تعرضت لشيء جعلك تفقد الذاكرة، وجعلك تأتين إلى هنا، شيء أصابك بعد وصولك
 للقاهرة وقبل وصولك للفندق، حاولي تذكر أي شيء.

لا أذكر شيئا يا رفعت .. لقد خرجت من المطار واستقلت سيارة أجرة للفندق و ... وجدت نفسي
 هنا.

يجب أن أعرف لماذا تم اختطافك ولماذا أنت بالذات، خصوصا أن صاحب المكان شخص
 أعرفه، ولكني -والحق أقول- لا أرتاح له كثيرا.

وإلى هذا الحين؟!

يجب أن تتظاهري أنك مازلت فاقدة للذاكرة، وإلا.

لم أكمل بالطبع، فالمعنى واضح.

رفعت .. لم لا نهرب فحسب.

لأن هناك مخلوقا يدعى شلاطة، أراك فيما بعد.

رفعت .. للأبد؟

ماذا؟!

ستظل تذكرني للأبد؟

وحتى تحترق النجوم كلها، وحتى تجف الأنهار، وحتى...

قاطعني طرق على الباب .. الحمد لله، فقد استطعت للمرة الأولى في حياتي أن أقول جملة واحدة بعد احتراق النجوم.

من بالباب؟

آآ .. أنا اسمي توفيق إبراهيم، أرجو أن تسمح لي بالدخول يا سيدتي.

هذا الثعلب اللئيم .. تراه أتى هنا ليلهو! لا أعتقد .. إنه إنسان طيب وشهم برغم كل شيء.

أشرت لها أن تسمح له بالدخول واختبأت أنا في ركن من المكان.

دلف توفيق وهتف:

آآ .. أين د .. رفعت.

رفعت من؟

المعلم رفعت .. الفتوة بتاعك.

لا أدري .. أكيد بالخارج يضرب أحدهم.

يضرب .. عود الكبريت هذا يضرب، أرجوك لدي معلومات هامة لكليكما إن كنت قد استعدت ذاكرتك.

ثواني.

فتحت الباب للتأكد من عدم وجود فضوليين هنالك، ونادت عليّ حيث كنت ثم قالت له:

تكلم.

هل تسمعان عن الفرعون با – طيخ* الأول؟

كلا.

* لا يوجد فرعون بهذا الاسم ولكنها نظرية "دعني أكل بعقلك حلوة " - "انفضل .. أجيب لك رغيغ كمان؟".

لقد استرعى انتباهي وجود تلك الصورة الفرعونية بكثرة في ملهى ليلي لا يفترض في رواده الثقافة التاريخية أو الوطنية، فبحثت في الشبكة العنكبوتية حتى وجدت صورة ذلك الفرعون وقصة غريبة عنه ظننت أنها قد تفسر بعض ما يحدث لكما.
أكمل ..كلنا آذان صاغية.

ظهر هذا الفرعون بعد عهد الملك أحمس بفترة قصيرة، وقد كان مكروها من الشعب، ففكر له كهنته في تقليد يجعل الشعب يحبه، واستثمرا للانتصار على الهكسوس، وكره الشعب لهم فقد صنعوا له تعويذة سحرية هي قلادة الخلود، حيث يرتدي الفرعون هذه القلادة في احتفال ديني مهيب فتهبه الخلود مدى الحياة.

وما دخل الهكسوس في الأمر؟!!

آه.. ألم أقل لكما بعد ..لتعمل القلادة يجب أن تغمس في دماء حبيبين من الهكسوس وقد امتزجت دماؤهما معا ..حبيبان أحبا بعضهما البعض ما يزيد على عشرة أعوام وما زالوا يذوبان حبا.
يمكنه مزج دماء أي زوجين إذن؟

يبدو أنك لم تسمع جيدا هذين المقطعين.. أقول عشرة أعوام – ما زالوا يذوبان حبا. أعتقد أن هذا –بالنسبة للأزواج– ضربا من الخيال العلمي.

هل تقصد أن لوسيفر قد وجد قلادة با – طيخ الأول ويسعى للخلود على حسابي وماجي؟
يا لك من عبقرى ..هو ما أقصد.

لكن ماجي من اسكتلندا ..ولم تكن اسكتلندا هي بلد الهكسوس.

قاطعني صوت البير المحبب المنفر:

ربما كانت ذات يوم ..من يدري ..«هل أسترا ليا هي أسترا ليا حقا».

د. لوسيفر! كنت أنتظر ظهورك.

أنا عاتب عليك يا صديقي ..حين تريد العمل في ملهائي عليك أن تقصدني مباشرة ليس ذلك الـ شلطة.

ها نحن وجها لوجه ..افعل بي ما تريد فأنا ثمرة فاكهة تغضنت وقاربت على الذبول لكن إياك والتعرض لـ ماجي تلك الثمرة اليانعة أبدا.

اطمئن ..لن أتعرض لكما ..فقط أريد بعضا من دمائكما ..وتتصرفان من فوركما.
وإذا رفضنا.

ليس هذا ترفا تستطيعانه.

قالها ونظر إلى عدد من النيران البشرية ملأوا الغرفة في لحظة.

كل هؤلاء ينتظرهم الخلود؟

كلا، فالقلادة تستخدم لشخص واحد فقط، ويجب العثور على حبيبين مثلكما لكل واحد منهما،
والآن، فلتشمرأ عن ساعديكما فقد حان الوقت.

نظرت لـ ماجي في عجز فنظرت لي مبتسمة وهمست:

حتى تحترق النجوم؟

انفجرت فيها:

الله يحرقك ويحرق النجوم في يوم واحد، هو دا وقته؟

رفعت..... حتى تحترق النجوم؟

لمت نفسي على عصبيتي معها.. تلك البائسة المسكينة.. زهرة برية في مهب العاصفة، لكن من
قال إن البستاني العجوز قادر على مواجهة الريح.

وحتى تجف الأنهار.. وحتى ينقرض الكنغر.. وحتي..

ماتخلصونا بقي.

قالها لوسيفر في ملل، ففردت ذراعي على آخره وصرخت:

هاك ذراعي فلتفعل ما تريد وتتركنا نذهب.

انتهى من مزج دماننا، ولم ينس أن يغطي جرح كل منا بقطن طبي معقم.. يا له من إنسان مرهف
المشاعر، وضع كوكتيل الدم في إناء ثم غمس فيه القلادة، وأخرجها وارثاها تقطر دما على عبااته
السوداء.. وبدأ منتشيا بهذا.. كليث جلبت له زوجته غزالة للغداء بينما هو في العرين يتابع قناة
ميلودي.. مخبول.. بعدها هتف:

من المؤسف أن تموتا حقا يا رفعت، لكنه شاعري.. أليس كذلك.. روميو وجوليت.. قيس وليلى..
ورفعت وماجي.

نموت؟! لم تقل لنا هذا.

يموتان.. لم يذكر الموقع هذا.

قالها توفيق وكنت قد نسيت وجوده أساسا.

لأنك لم تقلب الصفحة أيها الأحمق.

أنا أسف لكني فعلا لم أقرأ ذلك الجزء الخاص بالموت.
أنا توقعت ذلك.

قالتها ماجي ثم أكملت:

من الطبيعي أن يحرص الفراعنة على موت أعدائهم حيث قد انتهت استفادتهم منهما.
صحيح، فلا يمكن استخدامهم للزينة مثلا.

ولكن لماذا لم يمنعنا هؤلاء البلطجية؟

يبدو أن سرقة القلادة قد شلت تفكيرهم، وقد يكونون تحت تأثير سحر ما مرتبط بالقلادة.
الآن هيا بنا إلى بيتي لنستريح قليلا ثم تكملين رحلتك في مصر.

لا لقد اكتفيت بهذه الإثارة حتى الآن، أود السفر فوراً.

ليكن يا ملاكي.

ونظرت إلى توفيق بامنتان وقلت:

أنا مدين لك بحياتي.

ونظرت إلى ماجي ثم أردفت:

وما هو أغلي من حياتي.

لو أردت أكل فراخ مشوية، فأنا موجود.

بالطبع يا صديقي.

في المطار وقفت دامعة العينين وهتقت ناظرة في عيني:

حتى تحترق النجوم؟

وحتى ينقرض الكنغر، وحتى تصل مصر لكأس العالم، وحتى تت...

«على السادة المسافرين إلى المملكة المتحدة التوجه فوراً لصالة المغادرة».

قاطعني هذا النداء، صافحتها وأعطتني ظهرها وانصرفت، تبا لهذه الدمعة التي تحاول الفرار،
لكنني أصررت على سجنها في ضلوعي.

فكرت في القلادة التي تحملها، وهل يمكن أن تسبب العديد من المصائب.

الحقيقة .. نعم.

ولكن هذه قصة أخرى.

د. رفعت اسماعيل

القاهرة

مش فاكر التاريخ

ملحوظة: نصحني البعض أن أسمى القصة «أسطورة الشيشب» لأنه كان أكثر نفعا من الفتوة الذي لم يفعل شيئا في الواقع، لكنني عاندتهم، والآن أشعر أن لديهم حقا.